روايات مصرية للجيب

الطارق 7

د. سيد زهران

فريق متميزون E-BOOK

سوان

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة الطارق
٠٧

سوان

د. سيد زهران

OBJ

تنويه

هذه السلسلة من وحى خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه فى الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

قدَّمها الدكتور: أحمد خالد توفيق.. قائلًا نصًّا:

« سلسلة (الطارق).. أعتقد أنها جيدة وصالحة للنشر، والأسلوب قوى وفيه احترافية.. والمكان غريب وجذاب.. »

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطارق..

(طارق عبد الملك) طبيب حالات حرجة مُتحمس، من تلك النوعية التي عندما تتواجد فى مكان تُشعله!

يتهامسون سرًّا عن نَحسه، لكن الرجل كان ينظر للأمور من زاوية مُختلفة تمامًا، تتلخص فى أن المتاعب لا تأتى إلا لِمن يستحقها.

أطلق عليه أصدقاؤه مُبكرًا اسم (الطارق)؛ لأنه كان مندفعًا بِطبعه، يحب المُغامرة.. والبحث عن نفسه باستمرار فى كل شيء حوله.

(طارق) شخصية هستيرية.. مُصابة بقدر مُحتَمل من الوسواس القهري.

وصَفه (فرويد) ببعض الصفات المُقلقة منها:

« ارتباطه الشديد بالأشياء، الاندفاع، المبالغة فى التَعقُّل، التذبذب الانفعالي، الاهتمام بالتفاصيل، عدم الاقتناع الكافي بدوره فى الحياة.. أخيرًا التزامه الشديد الدقة وعدم التعايش مع الفوضى»

بعدما قرأ (طارق) ذلك التحليل عن نفسه، ابتسم فى سخرية.. وقَرَّر أن يعيش حياته كما هى، دون فهم.. دون معاناة، تلك العشوائية تُناسبه أكثر، حتى ولو انتهت يوما بالجنون.

هكذا ظَلت حياته صاخبة، تَمتلئ بالتفاصيل.. والكثير من المَرضى والشخصيات التي يقابلها كل يوم، خاصة بغرفة طوارئ مركز (أجزون) (Axon) الذي صَار يملكه.

فهناك كان البعض يتكلم.. البعض يَهذى.. البعض يبقى صامتًا إلى الأبد..

لكن ظَلت هناك نوعية تبقى.. تجُرك لعالمها.

نوعية تحمل بصمة نفسية مميزة!.. تَعْلق فى ذهنك وتظل تُفكر فيها، لأسباب غير معلومة!

قبل النوم عَادة ما كان يمسك (طارق) يومياته المُهترئة، التي نستطيع إدراجها تحت قائمة الأدب النفسي الساخر..

والتي تحمل عِنوانًا كبيرًا بخط يدوى أحمر.. (أوغاد فى حياتي)!

هناك يبدأ التفريغ.. ويختلط خياله بالواقع لدرجة أنك قد لا تعرف أين الحقيقة، إنها وسيلة هروب (طارق) لجعل حياته أكثر احتمالا..

والخَلاص مِنْ كل تلك الوجوه التي تُطارده ليلًا.

ومع كل شخصية استثنائية يُقَابلها، هناك رواية مُسلية تنتظر، سَنقرؤها معًا على ذلك الضوء الخافت.. والأمطار التي لا تريد التوقف بالخارج.

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المُقدمة..

ميلاد يوم شتوي مُلبد بالغيوم..

(طارق) داخل أحد مستشفيات القطاع الخاص عديمة الرحمة بالقاهرة. وقف يرشف بعض شأى المستشفى الماسخ، بجوار شرفة بها قِطعة زجاج مكسورة، تُسرب الصقيع..

كان يُدون تلك العبارات بإهمال، فى نوتة قديمة مُهترئة، بينما ترتسم فوق وجهه تلك الابتسامة الساخرة الدائمة.

- « نحن مَنْ نُلوث كل شيء.. ونُدخله فى حسابات لا تحمل سوى الأنانية!.. الإنسان هو الفوضى الحقيقية على هذه الأرض!.. إنه مَنْ يدعى الحكمة دائما!.. وهو فى النهاية، لا يخرج عن كونه أحمق.. يعيش فى مدينة للبهائم! »

ضَحك بإرهاق عند كتابة تلك الجملة الأخيرة، مما جعل أحد زملائه القادمين من الخارج، يسأل بفضول:

ـ- « ما الذي يُضحِك لتلك الدرجة؟ »

مال عليه يقرأ ما فى النوتة بصمت، قبل أن يرتمى فوق سرير حقير.. متمتما بسخرية:

ـ- « هذا ما يحدث عندما يُصاب العقل بداء الإدراك!.. »

وأغمض عينيه محاولا النوم. ابتسم (طارق).. وعاد ينظر للشارع عبر الشرفة، كانت شعائر صلاة الفجر قد انتهت، فى ذلك المسجد الصغير بجوار المستشفى.

أخذ يتأمل عجوزًا نحيل القوام.. والذي كان دائمًا ما يراه يمر فى نفس الوقت، عائدًا من المسجد لبيته القريب..

تنهد (طارق) بعمق.. هامسًا:

- « أنت الفائز فى النهاية.. »

كانت عيناه تُطالبه بحقها فى أن تُغلَق قليلا!.. لكنها الحالات، التي لا تريد التوقف عن القدوم لطوارئ المستشفى منذ التاسعة صباحًا..

إنه مُنهك جسديًّا.. وعصبيًّا.. ونفسيًّا؟!..

يعمل لساعات طويلة تقترب من العشرين ساعة، مُخالفًا كل قواعد الحد الأدنى من الحقوق الإنسانية المُتعارف عليها دوليًّا؟!..

إنه أسير وزارة الصحة منذ زمن قريب!.. العذاب الذي لا يريد التوقف، حتى لحظة كتابة تلك السطور..

كان السبب يعود لعدم وجود أطباء بشكل كافٍ..

بعدما صار الجميع يُفضل إما الهجرة أو الاستقالة، كنتيجة طبيعية لضعف الأجور.. وسوء المناخ العام الصحي.

المشكلة أن لا أحدًا يريد الاعتراف بالأمر؟!..

رغـم أن هذا بات واضحًا - تماما - لـ (أشرف) السباك!.. وفتى الجِزارة (عَظمة)، بِشكار [1] السلخانة القريبة من مسكن (طارق).

بعدما تَخطت أجورهم فى اليوم، ما يحصل عليه الأخير فى الشهر!.. لدرجة أن الوضع تحول من الشفقة.. إلى السخرية المزمنة!

- « حالة يا دكتووووور.. »

إنه الصراخ المعتاد للتمريض عند استدعائه!.. فلو أن (انتصار) لم تفعل ذلك كل مرة، تشعر بالملل وعدم الجدية!..

هز رأسه.. وابتسم فى سخرية مردِدًا بصوت عالٍ:

- « قادم ... »

ثم أفرَغ بقايا الشاي فى حلقه.. وأسرع للطوارئ..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان المشهد هذه المرة صامتًا، هادئًا!.. لا يدعو للتعجل، لكن هناك ثمة توتر ما يطل من العيون!.. خاصة التمريض؟..

رجل فى أواخر الأربعينيات.. وسيم.. رشيق، تقف بجواره فتاة شابة، يبدو أنها كانت تبكي، لا تصلح سوى أن تكون ابنته..

(طارق) بروتينية:

- « خير؟ »

الرجل ببساطة.. وهو يستلقي فوق طاولة عمليات صغيرة بغرفة الجراحة:

- « جرح بالرأس.. »

اقترب (طارق) يفحصه، قبل أن يأمر بتجهيز بعض الأدوات، التي أحضرها التمريض سريعا..

بعدها انكب فوق الحالة.. وبدأ فى العمل بروتينية..

أغمض الرجل عينيه؛ واستسلم تماما لما يفعله (طارق) دون حتى أن يتأوه!.. كان يبدو عليه علامات الثراء، لذا حاول الأخير أن يكون حذرا!.. فهو يعلم جيدًا تلك الشريحة المُتحذلقة.

لكن ظل المشهد صامتًا تمامًا!.. مما جعل (طارق) يحاول تلطيفه.. متمتمًا:

- « سلامتك يا أستاذ؟..... »

وانتظر الإجابة.. قال (المريض) بتوتر:

- « (عبد القادر).. »

عاد الصمت.. و (طارق) يأخذ غرزة سريعة.. متسائلا:

- « ما سبب الإصابة؟.. »

توترت الفتاة.. وهو يجيب بشيء من الألم:

- « سقوط.. مجرد سقوط فى المطبخ.. »

نظر (طارق) لها.. فأشاحت بوجهها للأرض، كان هذا مؤشرًا أنه يكذب؟!.. أو على الأقل هناك أمر ما يحاول إخفاءه..

هنا.. قرر (طارق) الصمت، حتى فجأة بدأت تلك الضجة، تأتى من الخارج؟!..

اقتحمت غرفة الجراحة سيدة تصلح لأن تكون زوجته؛ والتي بمجرد أن لمَحت الفتاة صرخت فى وجهها.. قائلة:

- « ماذا تفعلين هنا أيتها السافلة؟.. »

ومسكتها من شعرها، أخذت الفتاة تصرخ.. فتوقف (طارق) عن العمل.. ونهض (عبد القادر) يحاول منعها..

- « دَعيها يا (سناء).. »

إنه صراع عائلي إذن..

استمر صراخ الفتاة.. وانضم بعض رجال الأمن.. وسادت الفوضى ...

(عبد القادر):

- « عيب كده.. »

دخلت المرأة مرحلة الضرب.. وهي تردد:

- « ما زلت تدافع عنها؟.. »

سالت الدماء فوق جبهة (عبد القادر) من جرح رأسه، الذي كان ما زال مفتوحا؛ وأصبح الموقف غير محتمل.

تدخل (طارق) وأمر بإخراجها.. فجَرَّ رجال الأمن (سناء) للخارج.. وهي لا تتوقف عن الشتائم..

- « خائن.. بعد هذا العمر تخونني مع هذه.. اتركوني.. اتركوني.. »

بُهت وجه (عبد القادر).. و (طارق) يتدخل مرددا فى صرامة:

- « مِنْ فضلك.. ارجع إلى مكانك.. »

استجاب الرجل.. وعاد ينام على طاولة الجراحة.. متمتمًا:

- « أنا آسف يا دكتور على كل هذا.. إنها تفهم الموقف خطأ.. »

نظرت الممرضة للفتاة التي تنتحب من البكاء، قبل أن تقول باشمئزاز:

- « اجلسي يا حبيبتي.. يبدو عليك التعب.. »

انتحبت الفتاة أكثر من نظراتها.. فقال لها (عبد القادر):

- « اجلسي يا (جنا).. »

مَصمَصت الممرضة شفتيها بطريقة تُجيدها.. مرددة بسخرية:

- « اسمها (جنا)؟.. »

(عبد القادر) بهدوء حازم:

- « من فضلك.. إنها خادمتي.. وهي محترمة جدا.. »

تراجعت الممرضة.. لكنها أضافت بأسلوب لا تستطيع تمييز الجدية فيه:

- « يبدو عليها الاحترام.. »

كتم (طارق) ضحكة كادت تفلت.. وعاد يُكمل عمله، لكن (عبد القادر) شعر بذلك.. فقرر عدم الصمت..

- « أنا زوج مُخلص لعشرين عامًا، الليلة كان عيد زواجنا، دَخلتُ المطبخ بعدما قررت صنع كعكة بنفسي - نوع من المفاجأة - لكن (جنا) اعترضت قائلة؛ عِيب يا سيدى.. »

ران الصمت للحظات.. مما دفع (طارق) لأن يسأل:

- « أين الخطأ؟.. »

تنهد (عبد القادر) شاردًا فى فارغ الغرفة.. قبل أن يقول بجدية كوميدية:

- « للأسف دخلت (سناء) المطبخ فى مرحلة قول (جنا) (عيب يا سيدى).. »

هنا.. ضحك (طارق) رغما عنه.. مرددًا:

- « وفَهِمت الموقف خطأ.. »

- « بالضبط.. »

(طارق) بمزيد من الضحك:

- « هذا يعنى أن تلك إصابة عمل؟.. وليست سقوط كما ادعيت.. »

(عبد القادر) باقتضاب:

- « يد الهون.. »

أصاب الغرفة ضحك هستيري.. لا يتناسب مع الموقف!.. قبل أن يتوقف (طارق) مضيفا:

- « أنت فى ورطة.. »

(عبد القادر).. وشبح ابتسامة بائسة تتكون فوق شفتيه:

- « نعم.. »

سيطر (طارق) على ضحكه.. مُضيفًا:

- « السيدة (سناء) لن تصدق أي شيء ستقوله!؟ »

(عبد القادر) بأسف:

- « أعرف.. ما يقلقني الآن هو مصير (جنا)؟.. إنها ريفية وحيدة فى القاهرة.. »

نظر (طارق) إليها.. مرددا:

- « فى كل الحالات هى لن تستمر فى العمل عندك، حتى ولو مر الأمر بسلام، لن تقبل زوجتك بذلك، لذا من الأفضل أن تعود إلى حيث تنتمى، سيكون هذا أكثر عدلا لها.. »

ران الصمت للحظة، لم يعكره سوى صوت نَحِيب (جنا) الذي لا يتوقف، قبل أن يعود (طارق).. متسائلا بجدية:

- « هل تملك زوجتك أي شيء حقيقي ضدك؟ »

- « لا أفهمك!.. »

(طارق) بتردد:

- « دليل خيانة؟.. »

(عبد القادر) بحدة:

- « لا طبعا.. لأنه لم يكن هناك شيء أصلا.. »

(طارق) ببساطة.. وهو يعود إلى العمل:

- « عظيم، فى تلك الحالة ليس هناك جريمة. سيظل الأمر مجرد تكهنات.. وحتما سَتستجيب السيدة (سناء) للإلحاح كأي زوجة مصرية أصيلة؛ لو أنك فقط صَمدتَ بعض الوقت.. وأصررت على أقوالك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غيوم.. رياح.. أمطار غزيرة فجأة!.. أخيرًا (عبد القادر) يسير بجوار زوجته نحو سيارتها، يحاول استرضاءها.. بينما تتبعهم (جنا) بانكسار.

تحركت السيارة سريعًا.. وانتهى الموقف بالنسبة للمستشفى، قبل أن يعود البعض لِما كان يفعل، بينما التهى البعض الآخر فى تأمل المطر.

عاد (طارق) للسكن.. وهو لا يستطيع نسيان ضعف تلك الفتاة.. وإذلالها!؟

ترى مَنْ المسئول عن ذلك العذاب.. والقلق الذي تشعر به الآن؟..

إنه يعرف تلك النوعية جيدًا.. والتي يقتلها الواقع كل يوم، لمجرد أنها تريد الحياة!

لقد قابل منذ فترة قريبة، فتاة لديها رصيد كبير من تلك الصفات..

فتاة لم تحلم يوما بالكثير!..

فقط الاهتمام.. والحد الأدنى من إنسانيتها..

كان اسمها (شيماء)..

وكان لديها دُرج مكتب، يحمل لها الأمل كل يوم!..

يبدو أن الأمر قد أثار فضول البعض..

حسنا.. سنحكى تلك القصة النفسية المُمِلة..

دعونا نبدأ على الفور..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1 - الشرنوبي..

(القاهرة)..

(23) أغسطس (2010).

الحادية عشرة والنصف صباحًا. بداية الشعور بالإرهاق فى المصالح الحكومية.. والتفكير فى الهروب الجماعي من العمل تحت أي غطاء؛ مثل الاستعداد لصلاة الظهر، أَخْذِ إذن مُبكر.. عَمل خط سير.. ساعة رِضاعة؟!.. أو أي شيء آخر، المهم أن يُغادر الموظف ذلك الجحيم.

كان يوم خانقًا شديد الحرارة!.. من تلك الأيام إياها؛ التي تزداد فيها الرطوبة، لتَسد المسام العرقية، فتشعر بالاحتباس الحراري.. وأنك تريد أن تظل تحت المياه.

اقترب سائق تاكسي صامتًا، غارقًا فى عرقه.. من ذلك المبنى سيئ السمعة!.. (مستشفى العباسية للصحة النفسية).. متمتما:

- « هنا يا أستاذ؟ »

أجابه الدكتور (شلبي) الجالس بجواره:

- « ما زال هناك أكثر من مائة مترا!.. »

كانت ملامح السائق تَشِى بوضوح أنه من تلك النوعية قليلة الكلام؛ المُتحفزة دائما للصراع. التفت إليه قائلا بحدة:

- « لن أقترب أكثر مِنْ هذا.. »

ضاقت عينا (شلبي) متسائلا بحذر:

- « لماذا؟.. أنا لن أسير كل تلك المسافة تحت الشمس.. »

هز السائق رأسه فى بداية عدم سيطرة على أعصابه.. مُجيبا:

- « لدى ذكريات سيئة مع المكان.. »

ابتسم (شلبي) متسائلا بفضول:

- « كيف؟.. هل كُنت نَزِيل المستشفى من قبل؟.. اشرح لى.. أستطيع المساعدة.. »

ران الصمت بينهما للحظات!.. والسائق يتأمله فى شَك كأنه مخبول، قبل أن يردد بحسم:

- « أقسم بالله منذ أن رَكِبت معي التاكسي؛ وأنا أشعر أنك غير طبيعي!.. انزل.. انزل يا أستاذ لو سمحت.. »

قاوم (شلبي) رغبة السائق فى عناد - بطريقة بدت مُضحكة - متمتمًا:

- « لن انزل إلا أمام باب المستشفى.. »

هنـا.. هبط السائـق بعصبية، بعدما التقط قطعة خشب قصيـرة، مُبَطنة بجلد أسود وكبـاسين معدنية، من تحت مقعد القيــادة.. ودار حول السيارة.. ثم فتـح الباب، ليجر (شلبي) من ياقة قميصه بعنف.. ويُجبـره على النزول.

قال الأخير بتحدٍّ زائف:

- « ماذا تريد؟.. »

رفع السائق قطعة الخشب فى الهواء؛ وعلامات الشر ترتسم على وجهه.. قائلا بتحفز:

- « أُجرة المِشوار يا محترم.. »

كان (شلبي) ينوى الاستمرار فى المقاومة، لكن أمام تلك النظرات العصبية الجادة للسائق تراجع.. متسائلا:

- « كم تريد؟.. »

- « عشرون جنيها.. »

- « كثيرا!.. »

السائق فى توعد:

- « هاااا.. »

- « تفضل.. »

أعطاه (شلبي) المال، قبل أن يدفعه السائق بعيدًا.. ويعود ليركب التاكسي بسرعة، متمتما بسخرية:

- « مجنون.. »

وقف (شلبي) يُعدل ياقة قميصه.. وهو يتأمله ينصرف:

- « همجي.. »

وانتظر ثواني حتى اختفى التاكسي من أمامه، مُخلفًا وراءه سحابة من الغبار، وضحكة طويلة مُتهكمة للسائق..

تنهد وعاد يتأمل المستشفى بنظرة سريعة، قبل أن يقطع المسافة المُتبقية له بهدوء، كأن شيئا لم يكن.

كان ذاهبًا لمقابلة البروفيسور (شرنوبي)، لأول مرة.. والذي سيكون المشرف العام على رسالة الماجستير الخاصة به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس المُمَرض (عنتر) - ضخم الجثة - يشعر بالصداع، أمام مكتب حقير يشرب الشاي، باستقبال مستشفى العباسية، قبل أن تدلف عليه امرأة ممتلئة فى منتصف العمر تردد:

- « سلام عليكم.. »

(عنتر) بضجر:

- « عليكم السلام.. »

تلفتت المرأة فى كل اتجاه.. وهي تسأله:

- « هِنا (الخَانكة) يا خويا؟.. »

وضع (عنتر) كوب الشاي فوق المكتب بلسان حال يقول، يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم يا رب.. مرددا:

- « نعم.. أي خدمة؟.. »

كان من الدارج عند الناس، خاصة شريحة العامة، أن أي مكان يقدم خدمة علاج الطب النفسي اسمه (الخَانكة) أو (السرايا الصفراء)..

(المرأة) فى تأثر بدا مُفتعلا:

- « عندي مريـض نفسى.. مافيش حَـد قادر عليه!.. بِيجيله حالة هياج.. يكسر فى الشقة.. ويعضني ويضربني.. »

ثم اقتربت منه فجأة!.. تستطرد بجدية شديدة!.. كأنها سَتذيع سرًّا:

- « كمان حاسس طول الوقت إنه مِتراقب من المخابرات.. و (إسرائيل) عايزة تجنده، ممكن عربية تيجي تاخده يا خويا؟.. »

غَاظ (عنتـر) بشدة كـل تفاصيل تلك المرأة، خـاصة إسرافها فـى استخدام كلمة (يا خـويا)..

- « ما صِلة قرابتك بالمريض؟.. »

- « زوجة أبوه.. »

- « آه.. عشان كده؟ »

- « عشان كده إيه؟ »

تمالك (عنتر) أعصابه كي يقول:

- « شوفي حضرتك موضوع العربية ده الوزارة منعته من زمان، عشان كده بنصحك إن حد من أصحابه أو أهله يتلموا عليه ويكتفوه.. ويجيبوه لحد هنا.. »

واقترب يهمس على طريقتها.. مردفًا:

- « وأنا بَطمنك.. الدكتور (شرنوبي) ما بيرجعش حد أبدا دون علاج، مِش بعيد لو شافك يحجزك يومين.. »

أصاب المرأة الفزع.. وهي تتراجع للخلف مرددة:

- « شكرا.. شكرا يا خويا.. »

وانطلقت تهرول مغـادرة المبنـى، ضحـك (عنتـر).. وعاد يشرب الشاي، لحظة ظهور (شلبي) أمامه..

- « صباح الخير.. أين أجد دكتور (شرنوبي) من فضلك؟.. »

تأمل (عنتر) صلعته اللامعة.. وعينيه الزائغة.. قبل أن يسأله فى ريبة:

- « لماذا تريده؟ »

- « أنا على موعد معه الآن.. »

نظر (عنتر) لردهة المستشفى من خلفه.. مردًا:

- « هل أتيت منفردًا؟ »

- « نعم.. »

ثم زوى (شلبي) ما بين حاجبيه مردفا بدهشة ساخرة:

- « هل مِنَ المفروض أن أكون بصحبة أحد؟.. »

ارتبك (عنتر) للحظة دون مبرر.. قبل أن يستعيد سيطرته قائلا:

- « ما اسم حضرتك؟ »

- « (شلبي عبد العظيم).. »

راجع (عنتر) قائمة سريعة فى دفتر أمامه، ثم أضاف بِشَك:

- « اسمك ليس ضمن قائمة مرضى اليوم.. »

أدرك (شلبي) سبب تصرفاته؟!.. فالجميع اليوم - لسبب غير مفهوم - يعتبره حالة تستدعى العلاج!.. هل شكله مخبول لتلك الدرجة!..

ابتسم مُضيفا باستمتاع:

- « أنا الدكتور (شلبي عبد العظيم) مساعد أخصائي جديد فى الطب النفسي، والدكتور (شرنوبي) هو المشرف على رسالة الماجستير الخاصة بي.. »

تسمر (عنتر) ينظر له للحظة فى غباء.. ثم قال باهتمام مفاجئ أصابه:

- « لا مؤاخذة يا دكتور.. تفضل من هنا.. »

وأشار نحو اتجاه ما.. مستطردًا:

- « هو فى مرور الآن.. آخر غرفة يمين.. »

- « شكرًا.. »

- « هل أُرَافقك؟.. »

(شلبي) هو يتحرك..

- « لا داعى لذلك.. »

- « مع السلامة.. »

اختفـى (شلبي) من أمامه، وابتلعه المستشفى.. فتبدلت نظرة اهتمام (عنتر) إلى السخرية الغامضة.. مردفًا:

- « رحلة سعيدة!!.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الدكتور (شرنوبي) معروفًا بسمعته كبروفيسور طب نفسى، غريب الأطوار!.. قادم من أمريكا، ينقل الحضارة؟!..

فالكل فى عالمه مريض نفسى إلى أن يثبت العكس، لهذا كان جميع العاملين بمستشفى العباسية يخشونه بشدة؛ خاصة عندما يبتسم أو يتودد لأحد بشكل مفاجئ!.. فالرجل مُختل تمامًا.. ولأقصى درجة..

وقف مع بعض تلاميذه - فى آخر المرور - يتأمل تلك الحالة، موثوقة اليدين بالخلف.. والجالسة فى منتصف الغرفة، تنظر لهم فى عداء.

كانت كل فتحات وجه الدكتور (شرنوبي) ينمو فيها الشعر، حتى أذنه!.. نظر لهم من خلف نظارته السميكة.. يسأل بملل:

- « ما التشخيص المبدئي لتلك الحالة؟ »

أسرع ذلك الطبيب قصير القامة.. والذي بدا مرهقا بشدة، يقول ببرود:

- «هى تميل إلى الذهان [2]؟!.. »

مط الدكتور (شرنوبي) شفتيه بعدم اقتناع كافٍ.. وهو يدور حول الحالة يتأملها فى تفحص.. متسائلا:

- « ما الذي جعلك تقول هذا يا دكتور (صفوت)؟.. »

الأخير بنفس البرود:

- « التاريخ المرضى للحالة يقول بوضوح، إن هناك تلفًا واضحًا قد أصاب بعض خلايا المخ، نتيجة الإكثار من تناول الكحول.. والعقاقير المخدرة.. »

دكتور (شرنوبي):

- « فقط؟.. »

- « نعم.. »

(شرنوبي) باستنكار:

- « ليس كافيًا كسبب لمرض الذهان.. »

بهت الجميع دون إجابة.. بينما دافع (صفوت) عن رأيه.. قائلا:

- « أقصد أن هذا ما تم رصده حتى الآن فى تلك الحالة.. »

انضم (شلبي) للمرور سريعًا، دون أن يُحدِث جلبة أو يلفت انتباه أحد، يَستمع لبقية الحلقة العلمية.. وينظر للمريض بألفة!..

كان (شرنوبي) يُضيف:

- « لقد كــررت كثيـرا من قبل، أن المرض النفسي - غالبـا - لا يأتي منفصلا؟!.. بمعنى أنه يكون مصحوبًا بمرض نفسي آخر، ذلك ما يدفع للحيرة والتفكير فى أصل المرض.. »

أضاف (شلبي) دون وعى:

- « بالضبط.. أنا أؤيد ذلك الرأي.. »

صمت (شرنوبي) فى صدمة.. وهو يريد أن يرى ذلك الكائن الذي قاطعه!.. هذا لم يحدث له منذ فترة!..

اقترب منه يعدل نظارته.. متمتما:

- « أنا أراك لأول مرة.. »

أفسح الأطباء المجال لـ (شلبي).. كي يردد بحماس نادرا ما يُصيبه:

- « نعم.. أنا طالب ماجستير.. »

وقدم نفسه له سريعا.. قبل أن يستطرد:

- « أنا قرأت كل أوراقك العلمية.. ومقتنع تماما بكل توجهاتك الحديثة فى المرض النفسي.. »

هز (شرنوبي) رأسه بهدوء.. متمتمًا:

- « آه.. هناك موعد - فعلا - اليوم مع طالب ماجستير.. »

نظر له (صفوت) فى عداء مُبكر.. ودكتور (شرنوبي) يضع يده على كتف (شلبي).. مردفا بلهجة تودد - مفاجئة - يعرفها الجميع:

- « مِـن الشكل الظاهري؟.. ما رأيـك فـى تلك الحالـة؟!.. هل هى حالة (ذُهان) كما أشار الدكتور (صفوت).. »

ضاقت عينا (شلبي) بشدة.. والتي اشتركت مع صلعته، وكل تفاصيل وجهه فى رسم شخصيته الهستيرية.. وهو يُجيب:

- « لا أحد يستطيع البت فى ذلك الأمر سريعا. ليس قبل معايشة المريض.. ووضعه تحت المراقبة فترة كافية.. »

أثار ذلك إعجاب (شرنوبي).. وهو يُشير للطلبة بمغادرة الغرفة، قائلا:

- « عظيم.. تلك مهمتك من الآن.. »

كتم بعض الفتيات ضحكهن.. بينما تساءل (شلبي):

- « يعنى إيه؟.. »

همس (صفوت) بأذنه فى برود لم يخل من الشماتة:

- « يعنى أنك ستبيت مع (سقراط) الليلة.. »

بُهت (شلبي) وهو عاجز عن فعل شيء.. والغرفة تخلو.. حتى تم غلق باب فولاذي عليه مع المريض..

عاد (صفوت) يقول عبر نافذة حديدية بالباب:

- « آه.. نسيت إخبارك أن (سقراط) يفضل قتل ضحاياه فى صمت، أثناء نومهم؟!.. وأنه الآن غير مُقيد.. »

وانطلقت ضحكته ترن فى أرجاء المكان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2 - الأيام الأولى..

إذا لم تحرق طاقة من أجل أن تصل لما تريد، ستحرق المزيد من الطاقة من أجل التأقلم على وضع فرضته عليك الحياة بسبب عدم سَعيك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مستشفى (حتشبسوت) التخصصي.

لا أعرف كيف اختار صاحبها ذلك الاسم لِيُطلقه عليها؟!.. هل كان تحت تأثير مُخدر ما؟!.. أم أن الأمر له أبعاد سياحية لم تظهر بعد؟!..

الاسم نموذج للتعقيد والعذاب اللفظي؟!.. الذي لم يفهم أحد المغزى منه!..

تَخيل نفسك - هكذا - تركب تاكسي.. قائلا للسائق:

- « مستشفى (حتشبسوت) لو سمحت.. »

وهى فى النهاية مجرد مستشفى أخرى خاصة - متوحشة - تهدف للربح!..

عيادات فخمة.. طوارئ (24) ساعة.. داخلي خمس نجوم.

كل شيء كان يلمع هنا لدرجة الإبهار.. فقط عليك أن تدفع التكلفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدكتور (سامى مُورو) مدير طوارئ المستشفى.

واحد من أهم الشخصيات المُقربة للإدارة المعقدة نفسيًّا؛ والمسئول الأول عن اختيارك للعمل فى تلك الجنة.. فدائما ما تبدأ وتنتهي الأمور عنده!..

إنه مَنْ يعرف أكثر من الجميع!.. والشخصية الصعب إرضاؤها على الإطلاق فى المكان!..

ففي عالمه؛ أنت مُقصر - بدرجة ما - مهما فعلت!.. ذلك منهجه فى الحياة.. يضعك على الخط الساخن طيلة الوقت، لتظل تلهث وراءه.. وتحت السيطرة.

فمن أنت؟.. كي يرضى عنك (مورو)؟..

ذلك يتطلب سنوات، كي يتذكر اسمك!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأيام الأولى للتخرج.. ويوم سيئ آخر كاد أن ينتهي.

وقف (طارق) بجوار زميله المُفضل (ماجد رسلان)، بلطجي العظام، كما يُطلقون عليه فى المستشفى، يتأمل تلك الحالة التي تصرخ بدم بارد.. متسائلا:

- « ماذا سوف تفعل معه؟.. »

هرش (طارق) شعره كالعادة عندما يفكر.. ثم أجاب:

- "هذا النزيف يتطلب نائب جراحة.. »

نظر (ماجد) لفروة رأس الرجل المسلوخة.. قائلا:

- « هذا لا يخصني، سأعمل على الحوض المكسور.. ولن أنتظر أحد.. »

ووضع يده على القدم.. فصرخت الحالة أكثر..

اقترب منه (طارق) يهمس فى رجاء:

- « تعرف أنى لو فى مكان آخر غير ذلك المستشفى الخاص، كُنت سيطرت على الموقف فى دقائق، لكنها تعليمات (مورو) اللعينة، لا بد من أخصائي جراحة، كي يتعامل مع الجَرح.. »

تراجع (ماجد) أمام إلحاحه:

- « حسنا ... سأنتظر.. مَنْ نائب الجراحة اليوم؟.. »

تردد (طارق).. قائلا:

- « إنها (شرين).. »

(ماجد) بإزعاج:

- « إيه؟.. هل ما زالت تلك الفتاة تعمل هنا؟.. »

- « نعم.. »

(ماجد) بتنمر:

- « النساء لا يصلحن لتلك المهنة.. »

(طارق) باستفزاز:

- « غريبة!.. مع أن البعض يردد أنها جَراحة ماهرة.. »

أخذ (ماجد) يفكر ثواني.. ثم قرر ذلك بعناد..

- « هيا.. سنعمل على الحالة.. لن أدع تلك المخبولة أن تلمسها.. »

تحمس (طارق).. وبدأ يُعقم فروة الرأس..

- « هذا هو (ماجد) الذي أعرفه.. »

الأخير ببرود:

- « لا تعتد على ذلك. إنه لتلك المرة فقط.. »

هنا فجأة.. دلفت (شرين) للطوارئ بحماس تردد:

- « أين الحالة؟.. »

(طارق) بإحراج:

- « حالة إيه حضرتك؟.. »

تحفزت (شرين) عندما لمحت (ماجد).. قائلة:

- « لقد تم استدعائي للعرض يا دكتور.. »

لوح (طارق) بيده.. مضيفا ببساطة:

- « يبدو أن هناك خطأ.. »

اقتحمت (شرين) الغرفة تتأمل المريض الذي يتألم.. قائلة:

- « ما هذا إذن؟.. »

تدخل (ماجد) ببرود.. وهو يستعد للعمل مع المريض، الذي كان يتألم بشدة:

- « حالة عظام يا (أَبلة).. »

كان أكثر شيء يستفز (شرين) لدرجة الجنون كلمة (أبلة) تلك. أخذت نفسًا عميقًا.. عَدلت النظارة.. ثم قالت بمزيد من التحفز:

- « لكنى أجده يحتاج لتدخل جراحي، أم أن فروة الرأس تلك لم تَلِفت نظرك؟!.. »

مط (ماجد) شفتيه بلا مبالاة.. مضيفًا ببرود تام:

- « إنها مهمة صغيرة سأقوم بها.. شكرا لك.. »

بدأت عصبية (شرين).. قائلة:

- « أريد بناء سُمعتي.. »

- « ليس اليوم.. وليس مع تلك الحالة.. »

اتسعت عينا (شرين).. وهي تقترب منه تردد:

- « متى إذن؟.. ها.. متى؟.. »

شعر (طارق) أن الموقف يخرج عن السيطرة.. فقال محاولا التهدئة:

- « الدكتور (ماجد) يقصد أنك نائبة جراحة حديثة، وهذه حالة صعبة تحتاج إلى خبرة، قريبا سيكون هناك حالات أخرى.. اليوم ما زال طويلا.. »

(شرين) بحدة شديدة:

- « أشعر أن قريبا هذا لن يأتي أبدا.. طالما أنتم هنا.. »

بُهت (طارق) من قولها، بينما ضاقت عينا (ماجد) فى عناد.. وهو يُضيف بمزيد من التصعيد غير المبرر:

- « العصبية ليست جيدة على صحتك النفسية يا دكتورة.. »

كانت تلك العبارة الأخيرة، هى ما يحتاج لها الموقف كي يشتعل.. فبعدها فَلتت الأمور تماما..

صرخت (شرين) بجنون.. وبدأت تنتفض، متمتمة بتوعد:

- « أريد أن يحاول أحد إيقافي.. »

تراجع (ماجد) أمامها.. مردِدًا:

- « ماذا ستفعلين؟.. »

بدت (شرين) كمصاصي الدماء.. وهي ترتدى جوارب التعقيم بعصبية، قبل أن تشهر المشرط فى وجوهما.. قائلة بشراسة:

- « سأعمل على الحالة.. عندك مانع؟.. »

سحبه (طارق) بحذر، مقاومًا رغبته فى الضحك.. و (ماجد) يتمتم بتوعد مقابل:

- « لن يمر هذا بسلام.. »

وخرج الاثنان.. وسط صراخ المريض..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف الثلاثة أطباء (طارق) و (ماجد) و (شرين) أمام مدير طوارئ المستشفى دكتور (مورو)، صفًّا واحدًا؟!.. كأنهم فى غرفة الناظر!.. والأخير يتأمل فنجان القهوة الذي أمامه بهدوء لا ينذر بخير.

كان (طارق) جديد العمل بالمستشفى.. والذي لم يحلم بالعمل به فى تلك الفترة من حياته، خاصة أنه حديث التخرج، ولم يأخذ خبرة بعد فى مجال نيابته (الطوارئ والحالات الحرجة).

(مورو) بهدوء عصبي:

- « ما حدث اليوم فى غرفة الجراحة.. لا يليق بالمكان الذي تعملون فيه.. »

أرادت (شرين) أن تُعلق، لكنه أشار لها بأن تصمت فى حدة.. وأخذ يُضيف بلهجة تصاعدية:

- « لا يليق بكم كأطباء.. والأهم أنه لا يليق بقسم مسئول عنه دكتور (مورو).. »

وطرق مكتبه بعنف، انتفض الحضور عدا (طارق) الذي همس سريعا فى أذن (ماجد):

- « إنه مجنون.. »

لم يُبد الأخير أي رد فعل، وظل ثابتًا.. و (مورو) يُكمل جلسة العقاب، عائدا إلى بروده العصبي:

- « لا بد طبعا من عقاب.. »

تدخلت (شرين) بحسم:

- « أنا لم أفعل شيئا أستحق عليه العقاب، لقد كُنت أحاول تأدية عملي.. »

(مورو) بتلذذ:

- « مَن سمح لك بالكلام؟.. »

(شرين):

- « لا بد أن أدافع عن نفسى.. »

(مورو) بحزم:

- « فى إدارتي.. كل مَنْ يتواجد فى مجال خطأ يحدث أمامه دون أن يحاول منع حدوثه؛ مذنب يستحق العقاب.. »

- « حتى ولو كان ليس طرفًا فيه؟.. »

- « نعم.. »

- « لكن هذا ليس عدلا!.. »

(مورو) فى منتهى البرود:

- « تستطيعين البحث عن عمل فى مكان آخر.. »

كتم (ماجد) ضحكة كادت تخرج.. بينما (شرين) تنقل نظراتها المصدومة بينهم، قبل أن تخلع البالطو قائلة بعصبية:

- « كُنت أعرف أنى سوف أصل لنفس النتيجة؛ مجتمع ذكوري متعفن؟!.. »

ثم خرجت من الغرفة بخطوات سريعة، انتظر (مورو) حتى غادرت.. ثم نظر لـ (ماجد) قائلا:

- « خصم يومين من راتبك.. »

أماء (ماجد) برأسه قائلا:

- « رغم أنى أشعر بالظلم، لكن كما ترى يا دكتور.. »

انتقل (مورو) إلى (طارق).. يضيف:

- « أما أنت فخصم ثلاثة أيام.. »

حاول (طارق) السيطرة على أعصابه.. متسائلا:

- « لماذا؟ »

- « لأنك المسئول عن المكان، كان يجب أن تدير الموقف بطريقة مختلفة.. لا تسمح بتصعيده.. »

- « أنا حديث العهد فى العمل.. ولا أستحق ..... »

قاطعه (مورو) بحسم:

- « انتهى الأمر.. »

ران الصمت لثوان قبل أن يسأل (ماجد) بفضول:

- « وبالنسبة لها؟.. ماذا سيكون العقاب؟.. »

غاب الرد قليلا.. ثم قال (مورو) بلهجة مخيفة:

- « ما رأيك أنت فيما فعلت؟.. »

(ماجد) بتصعيد:

- « وقاحة.. وعدم احترام.. »

ابتسم (مورو) لأول مرة.. مرددا بتلذذ:

- « واضح أنك تريد الخلاص منها.. »

(ماجد) منزعجًا:

- « أنا!.. أبدا.. من صَدَّر لك ذلك الإحساس؟.. »

نهض (مورو) يقترب منه.. حاملا فنجان القهوة، قبل أن يقول:

- « نظرات عينيك.. »

ثم اتسعت ابتسامته.. وأشار لهما بمغادرة الغرفة، دون إضافة كلمة أخرى.. وهو يشرع فى رشف أول جرعاته الصباحية من الكافين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (سقراط) يحمل ملامح عادية.. وجها ممتلئًا.. رقبة قصيرة غليظة.. أيضا كان يفوق (شلبي) جسدا بقليل.

استدار الأخير ينظر له فى جمود، دون أن يتحرك أحد منهم من موقعه، حتى طال الأمر وصار كوميديا!..

عَقد دكتور (صفوت) حاجبيه.. وهو يتأمل كل هذا عبر شاشة مراقبة، بغرفة مجاورة، قبل أن يقول بشيء من السخرية:

- « غريبة!.. كيف لم يقتله (سقراط) حتى الآن؟.. »

مط المُمرض (عنتر) شفتيه.. مجيبا بملل:

- « هى فقط مسألة وقت.. »

راقت العبارة لـ (صفوت).. فابتسم وعاد يتابع الأحداث بفضول..

كـان (شلبي) يتقدم بجـرأة يُحسد عليها، حتـى صار علـى بعد خطوة واحـدة من (سقراط).. ثم مد يـده يحاول مصافحتـه، حاملا تلك الابتسامة البلهاء.

تجمد الموقف لثوان.. والأخير ينظر له بعمق ودهشة، قبل أن يرفع يده ببطء.. ويتبادل معه المصافحة.

هز (شلبي) رأسه بثقة.. ثم قال:

- « كيف انتهى بك الحال هنا؟.. »

كان هدف السؤال معرفة مدى إدراكه للأمور.. والغريب أنه أتى متوازنا..

قال (سقراط) هامسًا:

- « يريدون الخلاص منى.. »

وصمت لحظة.. ثم استطرد بعنف مُفاجئ:

- « لكنني عائد إليهم.. »

انتفض (شلبي) حقا من إيقاع الصوت!.. فضحك (صفوت) بسعادة، بينما أضاف (عنتر):

- « ها قد بدأ.. »

(صفوت) وهو يُشير له باهتمام:

- « اصمت.. »

- « حاضر.. »

استعاد (شلبي) سيطرته على الموقف.. مضيفًا:

- « أنا أيضا فى حياتي أوغاد، مثل الذي تتحدث عنهم. هم السبب وراء وجودي هنا.. »

ارتسمت علامات الغضب على وجه (سقراط).. وهو يتقدم نحوه يمسكه من قميصه.. مرددا:

- « أنت تكذب.. »

(شلبي) بشيء من الخوف:

- « لماذا تقول هذا؟.. »

ضاقت عينا (سقراط).. مُجيبًا:

- « لأنك الطبيب الذي أرسلوه لتقييم حالتي، أم أنك نسيت أنى هنا منذ البداية!.. »

وتركه.. وهو يستطرد شاردا فى الفراغ:

- « مشكلتكم أنكم تتعاملون معي على أنى مجنون.. »

زفر (شلبي) بقوة.. متسائلا بحذر:

- « تقبل اعتذاري.. لقد خشيت أن تخاف منى لو عرفت أنى طبيب.. »

- « لقد تكرر هذا كثيرا.. »

(شلبي) محاولا الابتعاد عن تلك النقطة:

- « هل (سقراط) هو اسمك الحقيقي؟.. »

نظر له بحدة.. ثم قال:

- « لا.. »

- « لماذا يطلقونه عليك إذن؟.. »

راح يجلس على السرير الوحيد بالغرفة.. مجيبا بهدوء:

- « لأنى كُنت أعشق دراسة التاريخ.. »

اقترب منه (شلبي) يقول:

- « أنت مدرس؟.. »

- « نعم.. أستاذ جامعي بالأزهر.. »

ضاقت عينا (شلبي).. ثم قال بحذر:

- « ما آخر شيء تذكره، حدث لك بالخارج قبل قدومك هنا؟.. »

هنا صرخ (صفوت) - المتابع للموقف - بـ (عنتر) قائلا:

- « تحرك بسرعة.. »

تغيرت ملامح (سقراط) نحو الغضب.. قبل أن يقول بتوتر عصبي:

- « هى؟!.. هى السبب؟!.. »

(شلبي).. مواسيًا:

- « لا بد أن يكون هناك امرأة دائما تقف فى النهاية.. »

وتلقى فجأة تلك اللكمة القوية فى حاجبه الأيسر؟!.. وقبل أن يدرك (شلبي) ماذا يحدث، اشتبك معه (سقراط).. وهو ما زال يردد بهستيريا:

- « هى السبب؟.. هى السبب؟.. »

اقتحم (عنتر) الغرفة، مع ثور بشرى آخر اسمه (عطية). قاما بتخليص (شلبي) من بين يديه.. والذي كان قد فقد الرؤية أمامه تماما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

3 - الأصدقاء..

قـد لا يعنـى البُعد عن بعض الناس فـى حياتـك؛ الترفع أو الغـرور أو حتـى الكُـره، بل ربما رغبتـك الراقية فـى الحفاظ على (بقايا الأشياء) التي كانت تجمعكم؛ رغبتك فــى ألَّا تسوء الأوضاع أكثـر من ذلك، رغبتك فى انسحاب هادئ يليق بكم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التاسعة مساء..

(ماجد) و (طارق) فى تاكسي..

الأول يسأل بإرهاق:

- « ما زلت مصممًا على ذلك؟.. »

(طارق) بنفس الإرهاق:

- « نعم.. »

(ماجد):

- « أعرف أن شريكي فى السكن يُزعجك باستمرار، لكننا نستطيع إيجاد حل لذلك.. »

(طارق).. وهو يُعدل حقيبته الرياضية التي تشبه مِخلة البحارة:

- « المشكلة ليست فى ذلك، أنا أريد بعض الخصوصية.. »

تنهد (ماجد) قائلا بيأس:

- « كما تريد.. »

وقف التاكسي فى منطقة (الدرب الأحمر) [3].. وهبط (طارق)..

استطرد (ماجد):

- « هل تريد أن آتى معك.. »

أشار له (طارق) بأن يبقى.. مرددا:

- « أراك غدا.. »

وابتلعه الحى الشعبي المزدحم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف (طارق) أمام المعلم (صابر) صاحب السكن الجديد - الذي سوف يسكن فيه - يتفحصه بتلك النظرات الثاقبة.. قبل أن يقول بشدة:

- « إنه بيت عيلة.. ولا أسمح بدخول أحد، إلا لو كان أهلا للثقة.. »

تدخل (سمسار) المنطقة قائلا:

- « مفهوم يا معلم.. الدكتور (طارق) شخص محترم.. »

لم تلين ملامح المعلم.. وهو يقول:

- « سوف نرى.. »

وأخرج مفتاحًا من جيبه.. مردفا:

- « الشقة سوبر لوكس.. بلاط.. وحمام أفرنجي.. »

(طارق) بسخرية:

- « معقول فيها حمام؟.. »

المعلم بحماس:

- « طبعا.. أنا لا أرضى بأقل من ذلك.. »

سيطر (طارق) على ضحكته.. واكتفى بإماءة إعجاب مفتعلة من رأسه.. و (السمسار) يضيف بلهجة استرضاء سخيفة:

- « إنها من نصيب الدكتور.. »

كان المنزل عاديًّا جدا.. ومكون من أربع أدوار. كل دور عبارة عن شقتين، عدا الدور الرابع الذي كان يسكن فيه المعلم - شخصيا - شقة واحدة؛ أما الدور الأرضي فكان هو القهوة نفسها..

كان الرجل نموذجًا للمعلم الكلاسيكي، الذي تحرص الأفلام المصرية على تقديمه دائما، يحمل أمامه كرشًا كبيرًا، يحرص على تربيته يوميا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قام (السمسار) بتوصيل (طارق) لباب الشقة.. متمتما بلهجة يُجيدها:

- « هل تريد أي خدمة ثانية يا دكتور؟.. »

أعطاه الأخير أتعابه، قبل أن ينصرف.. وفتى القهوة المتحمس دائما (حُودة) يفتح باب الشقة قائلا:

‴

- « اللهمَّ صلِّ على النبي.. تفضل.. تفضل يا دكتور.. »

دلف (طارق) يتأمل المكان.. والذي كان عاديًّا جدا أكثر من اللازم. فتح (حودة) الشباك.. فأتت دوشة الشارع.. وهو يردد:

- « بلكونة تُرد الروح.. »

بعدها أسرع يفتح الحمام - أهم إنجازات المعلم - وأخذ يصيح.. كأنه يُعايره:

- « قاعدة حمام أفرنجي.. »

يبدو أن هذا يمثل الحضارة هنا فى المنطقة!..

وللمرة الثانية كتم (طارق) ضحكاته.. وهو يحاول الضغط على زر الكهرباء، ليضيء ممر طُرقة الحمام.. فلم يستجب..

تدخل (حودة):

- « بسيطة إن شاء الله.. سأغير ذلك الزر غدا.. »

فتح (طارق) حنفية الحوض.. فلم تنزل نقطة مياه واحدة..

- « هل هذه هى الشقة السوبر لوكس؟.. »

(حودة):

- « إنها أمور بسيطة نستطيع حلها.. »

(طارق) بإرهاق:

- « أريد مياه الآن.. »

- « حالا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف ذلك (السباك) يفحص المواسير، قبل أن يردد بعلم:

- « الماسورة الأم مسدودة.. »

وأخذ طيلة ساعة يعمل عليها، حتى أخيرا انطلقت المياه تُغرق الحوض. شعر (السباك) بالرضا.. قائلا:

- « تمام يا أستاذ؟.. »

(طارق) بإزعاج:

- « المياه سوداء.. »

(السباك):

- « ليست مشكلتي.. »

(طارق) بملل:

- « والعمل؟ »

هرش (السباك) فى شعره.. متمتما:

- « ليس أمامك سوى أن تركب فلتر.. »

- « كم تكلفته؟.. »

فكر الرجل:

- « لن تحتاج سوى شمعة واحدة.. وفى تلك الحالة لن يكلفك الأمر سوى ثلاثمائة جنيه.. »

- « هل تستطيع فعل ذلك الآن.. »

لَم (السباك) عدته.. قائلا بعزة:

- « آسف ليس اختصاصي.. »

فاض الكيل بـ (طارق).. متسائلا:

- « من يصلح لتلك المهمة إذن؟.. »

- « (أشرف) فلاتر.. »

- « هل معك رقم هاتفه.. »

أنهى (السباك) لم أغراضه.. قبل أن يقف مجيبا:

- « لقد أغلق المحل الآن.. غدا سوف أرسله لك.. »

استوقفه (طارق) متسائلا:

- « كيف سأستخدم تلك المياه للصباح؟.. »

ابتسم (السباك) قائلا:

- « اطمئن.. نحن نعيش على تلك المياه منذ سنين.. »

- « إنها سوداء!.. »

(السباك) قبل أن يغلق باب الشقة خلفه:

- « دع الحنفية مفتوحة لمدة ساعة، وسوف يتغير لونها.. بعد ذلك ضع قطعة قماش أو قطنة على مخرجها.. سلام.. »

فى تلك اللحظة.. شعر (طارق) أنه سقط فى فخ.. وكاد أن يقرر الرحيل، لكن إرهاقه منعه من ذلك..

فمجرد أن رأى السرير أمامه، حتى ارتمى عليه.. وراح فى سبات عميق.. وآخر شيء يردده لسانه:

- « الله يخرب بيتك يا معلم (صابر).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح اليوم التالي..

استيقظ (طارق) فى فزع على صوت (حودة).. وهو يردد فى الشارع قائلا:

- « أيوه جاي.. »

والذي تزامن مع تلك الطرقات على الباب..

فرك عينيه.. مرددا بسخرية:

- « أين أنا؟.. وماذا أفعل هنا؟.. »

ثم تذكر كل شيء، بحث عن هاتفه (الموتورولا) لمعرفة كم الساعة. كانت تُشير إلى العاشرة صباحا.. تمتم بإزعاج:

- « لقد نمت كثيرا.. »

عادت الطرقات.. فنهض يفتح الباب..

وجد أمامه شابًّا مهذبًا، مُصفَّف الشعر، يرتدى بدلة بدون رابطة عنق.. ويحمل حقيبة كبيرة رمادية.. يقول بهدوء:

- « صباح الخير يا دكتور.. »

(طارق) بجدية:

- « صباح الخير.. أي خدمة؟.. »

الشاب بنفس الهدوء:

- « (أشرف) فلاتر.. صاحب معرض (الفاروق).. »

وقدم له كارت تعريف. تسمر (طارق) ينظر له لثوان!.. فهذا عكس الصورة الذهنية التي كونها عنه؟!.. قبل أن يقول متداركا الموقف:

- « تفضل.. »

دلف (أشرف) يضع حقيبته على المنضدة الوحيدة للمكان.. وهو يقول باحتراف:

- « بَلغني أن حضرتك تريد فلتر.. »

- « نعم.. »

- « كم شمعة؟.. معي أنواع كثيرة.. »

(طارق) بحسم:

- « شمعة واحدة.. »

(أشرف) باعتراض:

- « ليس له عُمر.. »

انشغل (طارق) فى فتح حقيبته.. وشرع يُخرج بعض أغراضه.. متمتما:

- « أنا لا أنوى البقاء هنا طويلا.. »

هز (أشرف) كتفيه.. قائلا:

- « كما تحب.. »

وشرع فى عمله..

بعد دقائق.. اقترب منه (طارق) يسأل:

- « هل معك شهادات يا (أشرف)؟.. »

الأخير دون أن يتوقف عن العمل:

- « نعم.. دبلوم صنايع قسم تكييف وتبريد، وحاليا منتسب لمعهد إلكترونيات.. ومنه إلى كلية الهندسة إن شاء الله.. »

راق لـ (طارق) طموحه.. فعاد يسأل:

- « أخبرني ماذا تفعلون هنا عند الإفطار.. »

ابتسم (أشرف) قائلا:

- « أنت جائع؟.. »

- « هَموت من الجوع.. »

ازدادت ابتسامة (أشرف) مضيفا ببساطة:

- « فـى تلك الحالـة ليـس أمامـك سـوى أمـر مـن اثنين، إمـا فـول عمـك (عبده)، أو عربة (عظمة).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفتى (عظمة).. هكذا أصبحت تعرفه منطقة الدرب الأحمر.

فتى جِزارة طموح.. وسيم.. خفيف الظل.. يعمل على نفسه كي يتزوج، إنه يقدم فى تلك العربة الصغيرة، التي تقف بجوار قهوة المعلم (صابر)، أشهى المأكولات الغنية بالكوليسترول والدهون الثلاثية..

طحال.. مُمبار.. كبدة.. مخ.. إلى آخر تلك الأشياء التي تقودك فى النهاية، إما لنزلة معوية حادة سريعة، أو أمراض القلب بعد فترة..

اقترب (أشرف) يقول بحماس لـ (طارق):

- « ما رأيك فى سندويتشات كبدة ومخ.. »

الأخير بحذر:

- « نحن ما زلنا فى الصباح.. »

تسرب ذلك لأذن (عظمة).. فتدخل يقول بخفة:

- « هذا يعطيك طاقة طيلة اليوم يا دكتور.. »

(طارق) بدهشة:

- « كيف عرفت أنى طبيب؟.. »

غمز (عظمة) له بعينه مرددا:

- « الأخبار تنتشر سريعا هنا.. »

صاح (حودة) عبر الشارع.. وهو يقوم بإنزال كوب شاي أمام أحد زبائن القهوة:

- « صباح الفل يا دكتووووور.. »

أشار له (طارق) بغيظ.. و (أشرف) يعود قائلا:

- « هل أضع لك شطة على شربة الكوارع؟.. »

وقبل أن يفهم (طارق) ماذا يحدث، وجد أمامه سُلطانية شُربة ساخنة غارقة فى البهاريز؟!.. وتَل من السندويتشات.

- « تفضل يا دكتور.. لا تقلق.. أكلنا نظيف.. »

كانت تلك رسالة (عظمة) التي يقدمها دائما لاستدراج ضحاياه.. بينما بدأ (أشرف) يأكل فى نهم..

نظر لهم (طارق) فى حيرة.. والذي لم يجد أمام تلك الضغوطات النفسية العنيفة سوى الاستسلام.

وبدأ رحلته الأولى فى عالم التلوث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (طارق) على مقهى المعلم (صابر) ليلا، مع صديقه (ماجد).. والذي أخذ يتأمل كل شيء حوله باستياء، فالقهوة كانت عبارة عن متحف إعلانات.. لأفلام سينما تلك الفترة.. (زهايمر).. (بنتين من مصر).. (عسل أســود).. (نور عينـى).. أيضـا بوسـترات إعلانـات انتخابـات مجلـس الشعب (2010)؛ انتخبوا مرشح الحزب الوطني الديمقراطي (أحمد شيحة)، مع صورة لذلك الأخير.. وهو ينظر نحو الغد المُشرق.. قبل أن يسأله:

- « هل يروق لك ذلك المكان حقا؟.. »

- « نعم.. »

هز (ماجد) رأسه فى اعتراض.. متمتما:

- « ترفض الإقامة معي فى (الدقي) من أجل البقاء هنا؟!.. »

تجاهل (طارق) السؤال.. وهو يستدعى (حودة) متمتما:

- « أريد حلبة.. »

انصرف (حودة) يلبى النداء.. و (ماجد) يسأل باهتمام:

- « ماذا بك؟.. أشعر أنك مريض.. »

(طارق) ببساطة.. وهو يضع يده على أعلى بطنه:

- « أبدا.. إنها بعض التقلصات من وجبة الصباح.. »

ونظر لعربة (عظمة).. الذي كان ما زال واقفا يعمل. ابتسم (ماجد) قائلا:

- « أنت تحب تلك الأماكن.. »

نظر له (طارق) فى غيظ مع ألم معدته.. مُداعبًا:

- « وأنت حمار.. »

ضحك (ماجد).. لحظة ظهور (شلبي) فى المنطقة يتلفت حوله بشكل كوميدي كعادته، مرتديا نظارة سوداء.

نادى عليه (طارق).. فانضم لهما سريعا.. قائلا بإرهاق:

- « لقد تعبت كثيرا حتى وصلت إليكما.. »

زفر (ماجد).. متناولا بعض قهوته:

- « كنت أتحدث معه فى ذلك قبل قدومك.. »

حضر (حودة) يضع الحلبة بإزعاج.. قائلا:

- « الدكتور يشرب إيه؟.. »

(شلبي):

- « قهوة.. »

تناول (طارق) بعضا من المشروب القلوي، علَّ ذلك يُهدئ قليلا من حموضة المعدة، قبل أن يعلق على النظارة السوداء التي يرتديها (شلبي).. متسائلا:

- « ليست من عادتك!.. »

خلعها ليرى الجميع تلك الكدمة الزرقاء حول عينه اليسرى. لم يستطع (ماجد) تمالك نفسه من الضحك.. وهو يقول:

- « مَنْ الذي فعل بك هذا؟.. »

ابتسم (طارق).. و (شلبي) يروى لهما سريعا ما حدث له..

(ماجد) بسخرية:

- « أخيرا.. وجدت مَنْ يتناغم مع عقلك.. »

ضحك (طارق).. و (شلبي) يقول بجدية:

- « حالة معقدة.. تصلح للرسالة.. »

(ماجد) بمزيد من السخرية:

- « هذا لو بقيت حيا حتى النهاية.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

4 - تلك الفتاة..

انتهى الوصف المورفولوجى لمناخ الرواية..

وحان وقت القصة..

البطلة كما تعرف اسمها (شيماء)..

فتاة عادية جدًّا، من تلك النوعية التي تقابلها كل يوم فى طريقك، دون أن يكون بها شيء يجذبك..

تعمل سكرتيرة عيادات خارجية بمستشفى (حتشبسوت) التخصصي، رقيقة.. شفافة.. ورومانسية لأقصى درجة.

تأتى كل يوم فى الصباح الباكر، تجلس فوق مكتبها الصغير الأنيق، ترتب كل شيء سريعا بسعادة.. ثم تجلس فى انتظار حالات أبناء الطبقة الراقية.

كان بها عادة غريبة!.. وجميلة فى نفس الوقت!..

كانت تحب الطعام.. كل أنواع الطعام!

فلا بد من شيء ما جديد على قائمتها يوميا!.. نوع من أنواع الشوكولاتة، المكسرات، الفستق، اللوز، سندويتشات الديلفرى الجديدة على غــرار.. (الريزو)!.. (الزنجر)!.. (تشيكن ماك)!.. إلى آخر تلك الأسماء المعقدة إياها؛ والتي تكون فى النهاية لحمة أو فراخ.

لكن يظل (المُنبار) هو طبقها المفضل!.. نعم لا تندهش!.. لقد قرأتها بشكل صحيح!.. تلك هى طبيعتها.. وتناقضاتها غير المفهومة أحيانا.

رغم كل هذا تجدها رقيقة.. خفيفة الظل..

يبدو أنها تحاول تعويض أشياء كثيرة ناقصة فى حياتها بالاستمتاع بالطعام!.. تلك كانت وسيلتها للتفريغ.. وجعل الحياة أكثر احتمالا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(شيماء) فتاة متوسطة الجمال، تحمل ضعفًا!.. ورغبة غير عادية فى الحب، إنها تلتهمك بعينيها من كثرة الاهتمام!.. حين تقف أمامها لأي سبب؟!.. لهذا لا تشعر بجمالها إلا حين تقترب.. وتسقط فى ذلك الفيض من الحنان.

كانت (شيماء) - لو جَاز التعبير - تحمل المادة الخام من الحب.. والتي ستقوم بتفصيلها على مَن سيدخل حياتها..

والوقت يمر.. ولم تجد مَنْ يحبها بعد؛ لتعطيه كل هذا.

لذلك كانت تقتل وقتها بالعمل.. لا تريـد أن تفكـر.. أو تبقـى مع نفسها قليلا.

كل التنوع الإنساني الذي تقابله يوميا من خلال أنماط البشر المختلفة، جعلها أكثر إثراء.. وقناعة بأن هناك شيئًا ما ينتظرها قادم؟..

شيئًا سيعوضها عن كل ما سبق..

من عادة (شيماء) تَرك درج مكتبها الصغير مفتوحًا، فمَن ذلك الشخص البائس الذي قد يطمع فى أشيائها الصغيرة، سكر.. مج شاي.. أوراق.. بنس شعر.. فردة حذاء طفل صغير ضائعة تحتفظ بها لسبب غير معلوم، إلى آخر تلك الأشياء التي قد لا تساوى أكثر من مائة جنيه.

حتى لو سرقها أحدهم.. حتما لن تحزن، يكفي أنها نفذت رغبتها.. وتركت درجها مفتوحًا.. وحُر من الأسر!

هكذا كانت تردد دائما..

يبدو أن هذا كان يُرضيها بشكل ما، كأن لسان حالها يقول:

- « ليس لدى ما أخبئه.. أو حتى أخاف عليه.. »

صار الجميع يعرف بأمر الدرج.. وحين تحتاج إلى كوب شاي، حتى ولو كان ذلك فى ساعة متأخرة من الليل، تستطيع أن تذهب هناك لإعداده!.. فقط عليك العثور على بعض الماء الساخن.

والذي غالبا ما يكون عند طبيب الطوارئ الجديد (طارق)، المُتحدث اللبق على حد تشبيه (شيماء) له بعد التعرف عليه.

ثمة شيء ما غريب فى هذا الطبيب جعلها تقترب منه.. وتُعطيه دائما جزءًا مما تُحضر من طعام أثناء أيام عمله!

علاقة روحية غريبة ربطتها به!..

اليوم تأتيه مكتئبة.. فيهون عليها الأمر بسخريته الدائمة..

غـدًا ترتـدى لونًا أصفـر، يُخـرج طاقتهـا النفسيـة الإيجابيـة.. فتمـلأ الدنيا ضجيجًا..

استمر الحال بينهما هكذا حتى جاء ذلك اليوم، الذي بدأت فيه الأحداث؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(طارق) يكشف على إحدى حالاته.. تدخل (شيماء) مُرتدية جاكت أزرق تسأله:

- « هل أنت مَنْ فعل هذا؟ »

استدار (طارق) يقول ببساطة:

- « عَنْ ماذا تتحدثين؟.. »

تضحك مرددة:

- « البرتقالة؟ »

- « أية برتقالة؟ »

تتعصب بشكل مضحك رقيق متمتمة:

- « هل أنت من وضع تلك البرتقالة فى الدرج.. »

نظرت لها الحالة التي كان (طارق) يكشف عليها فى ضيق، مما دفعه لأن يُنهى الموقف قائلا:

- « لا.. »

- « متأكد.. »

خلع (طارق) السماعة عن رأسه.. متمتما بحسم:

- « قلت.. لا.. »

ظلت تنظر إليه فى شك لثوانٍ.. ثم غادرته تردد بإصرار:

- « سأعرف مَنْ وضعها!.. »

عادت (شيماء) إلى مكتبها.. وظلت كلما تقابل أحدًا تسأله:

- « هل أنت من وضع البرتقالة؟ »

لكن مر الوقت.. ولم تعرف (شيماء) أي شيء عن صاحب البرتقالة المجهولة؟!..

بَررت هذا بأن أحدهم يعبث معها.. حتى تكرر الأمر صباح اليوم التالي!..

وجدت قالب شوكولاتة من نوعها المفضل؟

من جديد عادت (شيماء) تسأل الجميع.. ومن جديد لم تحصل على إجابة..

بدأ الأمر يتكرر.. ويتسع.. وكل يوم تجد شيئًا ما جديدًا فى الدرج؟!

حتى صار الجميع يعرف القصة.. لدرجة أن البعض أخذ يسألها:

- « ماذا وجدتِ اليوم فى الدرج؟ »

الغريب أن (شيماء) ارتبطت بما يحدث!.. وأصبحت تأتى مبكرًا - سريعا - لتعرف ما ينتظرها فى الدرج..

صارت سعيـدة أكثـر من اللازم.. لوجــود أحــد - أخيــرا - يهتم بها لتلك الدرجــة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم هو عيد ميلاد (شيماء)..

تأخرت قليلا رغما عنها بفعل المواصلات.. فوجدت بعض زميلاتها يتجمهرون بجوار المكتب، بلسان حال يردد:

- « لماذا تأخرتِ كل هذا؟ »

سألتهم بخبث:

- « منذ متى كل هذا الاهتمام؟ »

قالت زميلتها المقربة (نجوى) بإثارة:

- « اليوم هو عيد ميلادك.. ونريد أن نعرف ما ينتظرك فى الدرج؟ »

عابثتهم قائلة:

- « لن أفتحه الآن.. »

أضافت الأخرى (سلمى) بغيظ:

- « دُرجك مفتوح.. وكنا نستطيع فتحه قبل قدومك.. لكننا نحترم خصوصيتك، لكن إذا تماديتِ فى عنادك سنفتحه الآن.. »

وهَمت أن تفعل ذلك.. فاستوقفتها (شيماء) ضاحكة:

- « خلاص.. خلاص.. انتظروا.. »

ران الصمت.. وانحنت (شيماء) فى إثارة تفتح الدرج، نظر الجميع معها..

- « ما هذا؟.. هناك ورقة؟.. »

قالت (نجوى):

- « يبدو أنه سيتكلم أخيرًا.. »

التقطت (شيماء) الورقــة بيــد مرتعشـة.. لتقرأهـا.. الكـل انكب عليها يتمتم:

- « أشوف.. أشوف.. أشوف.. »

وجدت تلك العبارة..

- « الهدية أكبر مِنْ أن تدخل فى الدرج.. ستجدينها تحت المكتب.. »

تكاتف الجميع لإخراج تلك الهدية.. وأخذت (شيماء) تفض غلافها الخارجي حتى وصلت لكرتونة عادية.. ازدحمت بالكثير من الأشياء الصغيرة القيمة.

وجدت أيضا كارت معايدة صغيرا، مكتوبًا عليه بخط يد مألوف بالنسبة لها..

- « كل سنة وأنت طيبة.. »

انفعل كل المُحيطين لدرجة الإحراج.. وشاع الأمر أكثر فى المستشفى، لدرجة أن (شيماء) صارت نجمة!.. وحصلت على كمية كبيرة من الهدايا فى ذلك اليوم!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التهمت الغيرة بعض الفتيات، خاصة تلك الفتاة (سلمى).. وبدأت الحرب..

- « إنه يريد التسلية.. »

- « لن يتقدم لها.. »

- « لو كان جادًّا.. لظهر.. »

شعرت (شيماء) بالإحراج والغضب؛ حتى إنها قررت - فجأة - تحت تأثير الانفعال.. أن تفعل ذلك؛ غَلق الدرج.

وكان ذلك أسوأ قرار أخذته؟..

فى اليوم التالي أَتت متأخرة؛ يحمل وجهها علامات الصمت والاكتئاب. تحاشى الجميع النظر إليها..

جلست أمام المكتب.. فتحت الدرج..

هناك ورقة صغيرة ملصوقة فى الخارج؟!.. فضتها بسرعة لتقرأ تلك العبارة:

- « يبدو أنى تسببت فى بعض المشاكل.. لن أضايقك بعد اليوم.. »

انفعلت (شيماء).. ودون إرادة أخذت تبكي فى هستيريا. التف من حولها - كالعادة - زميلاتها، بينما شعرت (سلمى) بالندم.. والجميع يتأملها فى لوم:

- « أنت السبب.. »

تمتمت (سلمى) محاولة الدفاع عن نفسها:

- « صدقوني لم أكن أقصد شيئا.. لقد .....»

قاطعتها (نجوى) بحدة:

- « لم يعد هذا مُجديًا الآن.. »

تدخلت أخرى تربت على كتف (شيماء) مرددة:

- « إطمئني.. سيعود.. »

وأخــذت تحتضنهـا بحب، تأثـر الجميع.. وتلـون اليـوم بالحـزن. شعـرت (شيماء) أنها فقدت شيئا ثمينا لن يعود.. وأنها غبية.

هنا قررت عدم الالتفات لأى أحد بعد اليوم، ليقولوا ما يشاءون!.. وعادت تترك الدُّرج مفتوحًا..

لكن الهدايا لم تعد تأتى!..

أخذت تواسى نفسها.. قائلة:

- « غدا سيعود.. »

ذلك أصبح لسان حالها.. الانتظار..

الانتظار الطويل..

ويوم بعد يوم، تأكدت فكرة ذهاب صاحب الهدايا دون عودة..

ذبلت (شيماء).. وتراجعت صحتها. لم تعد تلك الفتاة خفيفة الظل؛ التي يعرفها الجميع، حتى (طارق) صاحب التأثير القوى عليها، عندما كان يُضاحِكها.. يجدها تبتسم فى شحوب.. ثم تغادره فى صمت.

شاع أنها ستترك العمل.. هنا قرر (طارق) فعل هذا؟

فـى إحـدى نوتيجياته المسائية.. وتحديـدًا بعد منتصف الليل، تَسلل إلـى مكتب (شيماء) بالعيادات الخارجية.. ووضع شيئًا ما فى الدرج.

فى الصباح يبدو (طارق) مرهقا من كثرة ما لاقاه من حالات سخيفة ليلا، لكنه لم يستطع الانصراف حتى يشاهد تأثير ما فعل..

دخلت (شيماء) كالشبح الكسول.. لتجلس أمام مكتبها..

تفتح الدرج بروتينية.. فوجدت ذلك النوع الفاخر من الشوكولاتة فى انتظارها!.. دق قلبها بشدة.. وامتلأت عيناها بالدموع..

نظرت إليها (نجوى) عن بُعد تردد بانفعال:

- « تلك اللمعة فى عينيك لم أشاهدها منذ فترة طويلة!.. هل .....»

ولم تكمل عبارتها.. فقد أجهشت (شيماء) فى البكاء متمتمة فى سعادة:

- « نعم.. لقد عاد.. »

قامت صديقتها تحتضنها.. قائلة بمرح:

- « إياك من غلق الدرج مرة ثانية، لقد أصابنا الجوع منذ توقف معونات حبيبك المجهول.. »

وأخذت تلتهم بعض الشوكولاتة بنهم. ضحكت (شيماء) من كل قلبها لأول مرة منذ فترة طويلة، بينما بقي (طارق) - فى ملل - يرقب كل هذا عن بعد، مقاوما رغبته هو الآخر؛ لكن ليس فى البكاء.. بل فى النوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عـادت (شيماء) تدريجيا للحياة..

لكن مع الوقت شعر (طـارق) بالفخ الكبيـر الذي سقط فيـه.. فما فعله مجرد مُسكن، لن يطول مفعوله طويلا. أيضا هناك حتما أوقات سيغيب فيها عن الحضور للمكان، مَنْ سيضع الهدايا إذن فى الدرج؟..

لا بد من معاون.. كاتم أسرار؟.. شخص يستطيع القدوم كل يوم!..

ترى مَنْ يصلح لتلك المهمة؟.. مَنْ؟.. مَنْ؟..

هكذا أخذ يفكر (طارق).. حتى قال فجأة:

- « إنه (حسن).. عامل النظافة.. »

ذلك الشاب الصغير الهادئ.. حتما سيتفهم الأمر..

وبالفعل.. لم يرفض (حسن). لدرجة أن (طارق) حين عرض عليه بعض المال، شعر بالغضب.

وهكذا مر الوقت.. وتأجل مشروع تحطيم (شيماء) قليلا، على أمل إما عودة حبيبها المجهول، أو إيجاد حل للأمر.

حتى جاء يوم مَرض فيه (حسن).. ولم يَعلم (طارق) إلا متأخرا. تعامل (طارق) مع الأمر ببساطة، فما الذي سيحدث لو مر يوم دون هدايا؟..

دلف للمستشفى صباحًا.. ليقابل (شيماء) متسائلا ذلك السؤال الذي تحبه بحذر:

- « ماذا وجدتِ اليوم فى الدرج؟ »

أجابته (شيماء) بسرعة:

- « ميدالية حمراء على شكل قلب.. »

ثم أخرجتها من الحقيبة.. تضيف بسعادة:

- « انظر كم هى رقيقة؟ »

تأملها (طارق) بدهشة شاردا:

- « رائعة.. »

دلف (طارق) للطوارئ يفكر..

(حسن) لم يضع أي شيء فى الدرج أمس؟!.. كذلك هو؟!.. مَنْ إذن الذي وضع الميدالية؟!..

هل عاد الحبيب المجهول يمارس عاداته؟..

عظيم.. ذلك سيُعفيه إذن من تلك الورطة..

ظل الأمر يشغل تفكيره طيلة اليوم، حتى قرر أنه لن يضع شيئًا فى الدرج هذه الليلة.. وسيكتفى بالمراقبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جعل (طـارق) عامل الصيانـة يطفئ الأنوار مبكـرا، ثم تربـص للحبيب المجهول، مر الوقت ثقيلا.. بطيئا..

وكلما كانت تأتى حالة؛ يذهب إليها سريعا ثم يعود للمراقبة.. حتى شاهد ذلك الشاب الصغير يقترب..

انتظر (طارق) حتى تأكد من فَتحِه للدرج.. ثم ظهر له فجأة..

- « إذن هو أنت؟ »

لم يرتبك الشاب.. واستدار يواجهه قائلا:

- « دكتور (طارق).. كيف حالك؟ »

عَرفه الأخير على الفور.. مهندس كاميرات المراقبة..

- « ماذا تفعل هنا؟ »

أجابه المهندس فى ثبات:

- « عندما تَغيب (حسن) عن وضع هدية أمس.. قررت أنا القيام بذلك.. »

(طارق) بحيرة وشك:

- « هذا يعنى أنه ليس لك علاقة بالأمر؟ »

- « نعم.. »

لم يعد (طارق) يفهم شيئا!.. أضف أن هناك حزمة من الأسئلة لا بد أن يكون لها إجابة قبل أن يصدقه:

- « وكيف عرفت بأمره.. »

ابتسم المهندس.. هامسًا:

- « عندما سمعت بأمر درج (شيماء) مثل الجميع، قررت مراقبة العيادات عبر الكاميرات الداخلية ليلا، عل ذلك يساعد فى معرفة الحبيب المجهول، حتى شاهدت حضرتك تفعل هذا عدة مرات.. ومن بعدك (حسن).. »

قاطعه (طارق):

- « أنت تفهم خطأ.. أنا ليس لى علاقة بالأمر.. كل الحكاية أنى ..... »

قاطعه المهندس بلهجة تقدير:

- « أعرف يا دكتور.. وأقدر ما تفعله تماما.. »

ران الصمت بينهما للحظات، قبل أن تضيق عينا (طارق) عائدا للسؤال:

- « لماذا يجب أن أصدقك؟.. لماذا لا تكون أنت صاحب الهدايا منذ البداية؛ وتحاول خداعي؟.. »

المهندس ببساطة:

- « لأنني لم أنضم للعمل هنا سوى منذ مدة قصيرة.. شهر تقريبا، أي بعدما أغلقت (شيماء) الدرج.. وانقطعت الهدايا.. وإلا كنت قد عرفت بطلنا الحقيقي.. »

ظل (طارق) ينظر له فى ريبة.. والمهندس يستطرد قبل أن ينصرف:

- « صدقني يا دكتور.. الجميع فَكر فى فِعل، ما قُمت به أنت مع تلك الفتاة بشكل أو بآخر.. »

تأمله (طارق) وهو ينصرف.. وحيرته تتضاعف بداخله.. متمتما:

- « مَنْ إذن؟.. مَنْ؟.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

5 - مَنْ هو؟..

فى أجواء الاستبداد؛ دائما ما تجد القادرين على التطوير، لا يمتلكون أدوات حقيقية للتغيير، عاجزين عن الفعل، أسرى الإرهاق، الروتين، التخوين، عدم التمكين، الانتظار الوظيفي، الفساد؟!.. لو أن فقط تلك الشريحة مَلكت يوما نصاب الأمر، حتما سيتغير كل شيء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان مقهى المعلم (صابر) مزدحمًا - قليلا - تلك الليلة بشكل لافت للنظر؛ من أجل التحضير لمؤتمر انتخابي، تابع لأحد مرشحي الحزب الوطني الديمقراطي.

أخذ (طارق) يُقلب السكر فى مشروب الحلبة الذي أمامه بشرود، مما جعل (شلبي) يقطع ذلك متمتما:

- « فى ماذا تُفكر؟.. »

- « آه.. »

- « لتلك الدرجة أنت مُختطف ذهنيا!.. »

اعتدل (طارق).. وهو يرمق مجموعة من الشباب تجلس بالقرب منه باستياء، يمارسون الصوت العالي.. قبل أن يقول:

- « هناك قصة تشغل بالى هذه الأيام؟.. »

حصل على انتباه (شلبي).. الذي قال بفضول:

- « أية قصة؟.. »

تسمر (طارق) ينظر له بشكل مُفاجئ.. وعقله تجول به تلك الفكرة؛ لماذا لا يأخذ رأيه حقا؟.. قد يحمل ذلك العقل النفسي تبريرًا للأمر؟..

أخذ نفسًا عميقًا.. ثم بدأ يروى له باختصار، قصة تلك الفتاة (شيماء)؛ حتى انتهى قائلا:

- « وأنا الآن لا أدرى حقا، ما الخطوة التالية؟.. »

هز (شلبي) كتفيه.. قائلا بلا مبالاة:

- « لا شيء.. »

ارتسمت علامات الصدمة على وجه (طارق).. مرددا:

- « نعم.. »

(شلبي) بحسم:

- « هذه الفتاة - غالبًا - هى التي تضع الهدايا لنفسها فى الدرج للفت الانتباه.. »

تعمق الإحساس بالصدمة داخل (طارق) أكثر.. متسائلا:

- « كيف كونت ذلك الرأي السريع أيها العبقرى؟.. »

مط (شلبي) شفتيه مُجيبا.. وهو يُضيق عينيه بطريقة تدفع للضحك:

- « التفاصيل؟!.. تفاصيل الحكاية تقول بوضوح أننا أمام حالة انفصام متكاملة الأبعاد؛ أضف طبعا غريزة التخصص.. »

كرر (طارق) العبارة الأخيرة بدهشة، محاولا استساغتها:

- « غريزة التخصص؟!!.. »

- « نعم.. أنت عندما تعمل فى مجال ما لفترة طويلة، ينمو لديك ذلك الشعور نحو تخصصك، بمعنى أنك لو طبيب أمراض صدرية مثلا.. ودلف عليك مريض يكُح كَحة معينة، لها وقع رنين مألوف على أذنك؛ حينها ستجد نفسك غريزيا تقول؛ هذا الشخص مريض مثلا بالحساسية، من قبل حتى أن تكشف عليه!.. »

(طارق) بسخرية:

- « وبعد الفحص تكتشف أنه مريض سرطان.. »

مط (شلبي) شفتيه.. مرددا باستياء:

- « دعابة سخيفة.. »

رشف (طارق) بعض الحلبة الساخنة.. وهو يقول مبتسمًا:

- « فعلا عبقري!.. »

- « رغمًا عنك.. »

هز (طارق) رأسه باستمتاع.. و (شلبي) يعود متسائلا بعد لحظة تفكير:

- « هل تعرف تلك الفتاة عن قرب؟.. »

- « لا.. »

- « لماذا تدافع عنها إذن؟.. »

(طارق) بجدية، استطاع (شلبي) أن يجره إليها:

- « أنا أدافع عن المنطق، الحكاية أنى أستبعد تماما تشخيصك المُتسرع للحالة، لأنى أتعامل مع تلك الفتاة يوميا تقريبا.. وهي أبسط مما تتخيل.. وبعيدة كل البعد عن المرض النفسي!.. »

دافع (شلبي) عن رأيه.. متمتما:

- « وهل المَريض النفسي؟.. سيأتي كي يُخبرك أنه مريض نفسيًّا؟!.. طبعا لا.. لأنه ببساطة ينكر ذلك طيلة الوقت؟!.. بل ويقاومه أيضا لأقصى درجة.. شريحة قليلة فقط من المَرضى، هى التي قد تقتنع أنها مريضة.. وتحتاج لعلاج.. »

زفر (طارق) بقوة.. مرددا بملل:

- « كُنت أعرف أنك سَتُعقد الأمور.. »

كاد (شلبي) أن يُضيف عبارة ما، لكن فجأة تعالى صوت شلة الشباب الجالسة بجوارهم، بشكل مستفز هذه المرة، مما جعل (طارق).. وغالبية مَنْ يجلس فى الصالة الداخلية للمقهى.. ينظر إليهم؟!..

كان صوتهم العالي، بمثابة دعوة مفتوحة للجميع بأن يشاركوهم الحوار؟!..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن (طارق) يطيق الجلوس بجوار المتحمسين، خاصة أولئك الذين يملكون أفكارًا تتحدث عن التغيير والديمقراطية والعدالة إلى آخر ذلك الخُبال إياه.

ليس لأنه لا يريد ذلك، لكن بسبب أن الأمر يتطلب درجــة من الوعـى؛ ومناخًا سياسيًّا ومجتمعيا غير متاح الآن.. ما زال الوضع يحتاج إلى بعض الوقت والنضج.

سَمعهم مخبر المنطقة الشهير (جابر).. وهُم يجلسون بجواره على المقهى. فتح فمه يحاول إدراك شيء، مما يردده هؤلاء الشباب، لم يستطع؟!.. هنا استقر ضميره المهني - الذي تَربى عليه - على أمر واحد فقط..

- « إنهم يُمارسون الشيوعية؟!.. أعداء الوطن؟!.. يريدون إفساد المؤتمر الانتخابي للحزب الحاكم.. »

فاى أفكار تبدو غريبة على فَهم (جابـر)، لا بد أن تكون شيوعيـة؟!.. هكذا تعلم من سنوات عمله فى المباحث، التي تجاوزت العشرين عامًا!..

أنهى حجـر الشيشة التفاح.. ثم نظر لهم فـى غموض وانصرف سريعا..

قال (طارق) لـ (شلبي) بهدوء:

- « ثواني وسأعود.. »

ونهض ينادى على (حُودة). حَضر بإزعاج.. يردد:

- « أيوه يا دكتور.. الحلبة ليست مضبوطة؟.. »

تجاهل (طارق) السؤال.. قائلا:

- « هل تعرف هؤلاء الشباب؟.. »

نظر لهم (حُودة) فى تفحص.. ثم أجاب:

- « رأيتهم مرة أو اثنين.. لكنهم ليسوا مِنَ المنطقة.. »

ثم استطرد بحماس:

- « هل ضايقك أحدهم فى شيء؟.. »

- « لا.. اذهب أنت.. »

ذهب (حودة) دون فهم.. بينما عاد (طارق) يتأمل الشباب فى تفحص. كان أحدهم يردد بحماس:

- « لا بد أن يكون التَجمع مركزًا.. »

- « نعم.. ذلك ضروري هذه المرة لإحداث فارق؟!.. المرة السابقة فرقوا المظاهرة بسبب تأخرنا فى الحشد.. »

- « هل هناك أي اقتراحات؟.. »

أجابت فتاة متحمسة أخرى ترتدى بلوزة عليها صورة (جيفارا):

- « ما رأيكم أن نخرج من المناطق الشعبية؟!.. الناس هناك غاضبة وستنضم إلينا سريعا.. »

- « أخشى أن يحدث العكس.. ويرجموننا بالحجارة، فنحن من وجهة نظر الغالبية، العملاء أعداء الوطن؟!.. إنهم يُجيدون الترويج لذلك!.. »

تدخل صوت (طارق) يقول بجدية لم تخل من السخرية:

- « أخشى ألَّا يكون هناك متسع من الوقت؛ لتنفيذ تلك الأفكار الرائعة.. »

ران عليهم الصمت فجأة.. قبل أن ينظر أحدهم إليه متسائلا بحدة:

- « مَـنْ أنت أيهــا الرفيـــق؟.. وكيـف تسمـح لنفسـك بـأن تقتحـم علينــا خصوصيتنا؟.. »

راق لـ (طارق) لقب رفيق.. مردداً بنفس اللهجة الساخرة:

- « ليس ذلك مهمًّا الآن.. »

ثم نظر فى ساعته.. يستطرد:

- « فأمامكم أقل من ربع ساعة قبل أن يتم القبض عليكم.. »

نهض الزعيم يردد بانفعال:

- « ماذا تقول؟.. نحن لم نفعل شيئًا.. »

- « إذا بقيت سيكون أمامك الكثير من الوقت لإثبات ذلك.. »

تدخل آخر متحمس:

- « هناك قانون.. ونحن فى بلد المفروض أنها مدنية ديمقراطية.. »

ابتسم (طارق) متمتما بسخرية:

- « لماذا تتظاهرون عليها إذن؟.. »

لم يرد أحد منهم لثوانٍ.. قبل أن يضيف آخر:

- « الأمر معقد.. »

تجاهل (طارق) عبارته.. واستجمع بقايا طاقته ليضيف:

- « الوقت يضيع.. وإذا لم تنصرفوا الآن ستقضون لحظات صعبة.. »

أخذتهم العزة والحماس..

- « لن ننصرف.. وسنبقى للمواجهة.. »

فـى تلك اللحظـة، لـم يتحمـل (طــارق) الموقـف.. وعـاد ليجلـس جــوار (شلبي) بهدوء..

- « ماذا هناك؟.. »

حكى له (طارق) سريعا.. فأردف (شلبي):

- « أنت مخطئ.. »

- « لماذا؟.. »

(شلبي) بسخرية نادرًا ما تصيبه:

- « لأن التجربة مفيدة بالنسبة لهم، دعهم يدخلون الحدث؛ فإما أن يصيروا أكثر نضجًا.. أو ينصرفوا لفعل شيء آخر.. »

ابتسم (طارق).. قائلا:

- «أنت سادي [4] على فكرة!..»

- « لماذا تُصاحبني إذن؟.. »

- « لا أعرف!.. »

عاد (شلبي) يتأملهم عن بعد؛ كأنهم حالة نفسية يدرسها، قبل أن يُضيف:

- « انظر.. إنهم أنقياء، يستحقون بعض الفوضى فى حياتهم!.. بعض التلوث!.. »

فى تلك اللحظة وقف - فجأة - بوكس شرطة الدرب الأحمر بلونه الرمادي القبيح، أمام المقهى، ليهبط (جابر) حاملا تلك النظرة الحكومية الواثقة.

استقبله أحد رواد القهوة الكبار بإزعاج.. يسأل:

- « ماذا هناك؟.. »

أجابه (جابر) بفخر:

- « تنظيم شيوعي.. »

وانطلق يمسك الشباب الصغير، كما يفعل بالفراخ فى العشة، التي على سطح منزلهم!..

التقت عينا الزعيم المُتحمس بعيني (طارق)؛ لثوانٍ حملت الكثير من الأسف.. و (حودة) يردد خلفهم؛ عائمًا مع الحدث:

- « ليلة سعيدة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6 - ســـوان..

« لا بد أن تقترب.. كي ترى الحقيقة.. »

ظلت تلك العبـارة تـرن فـى عقـل (طــارق)، أثناء طريقه نحو مستشفى (حتشبسوت) التخصصي، لبداية فترة عمل صباحية فى ذلك اليوم.

كانت قصة (شيماء) تؤرقه؟!.. وهو كالعادة تورط.. وصار لا يملك رفاهية قول (ماليش دعوة)..

إنها الحياة؟!..

والحياة فى عالمه دون صراع، لا تساوى شيئا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان أول ما فعله (طارق) بعد دخول المستشفى، هو الاتجاه حيث تجلس (شيماء) مرددا:

- « ماذا وجدتِ فى الدرج اليوم.. »

رسمت الأخيرة تلك الابتسامة فوق شفتيها قائلة بسعادة، لم تخل من الحزن:

- « هذا العقد.. »

كان عبارة عن سلسلة تنتهى ببجعة بيضاء صغيرة لامعة..

أثـار الأمـر اهتمـام (طـارق)، لدرجـة أنـه دلـف للمكتب.. وجلـس أمــام (شيماء) يلتقطه منها.. مرددا بإعجاب:

- « جميل.. »

تدخلت (نجوى) صديقتها المقربة تضيف بمرح اختلط بالتذمر؛ وهى ترتب بعض الأوراق فى مكتب مقابل:

- « لقد صار رومانسيا تماما!.. لم يعد يترك طعامًا.. »

ضحك (طارق).. مضيفا:

- « لكنه عقد رائع.. »

حملت (نجوى) ملفًا ضخمًا، يبدو أنه الوحيد الذي راق لها.. قائلة:

- « الأهم أنه يحمل طائر (شيماء) المُفضل.. البجعة!.. »

حصلت على اهتمام (طارق).. الذي قال:

- « حقيقي؟.. »

ابتسمت (شيماء).. و (نجوى) تضيف بسخرية:

- «نعم.. إن كل حياتها عبارة عن (بَجع)!.. لدرجة أننا فى الكلية كنا نطلق عليها اسم (سوان) [5]!.. فالبجع يحتل عالمها.. صور حائط.. أغلفة كتب.. براويز.. أفلام وثائقية.. حتى الموسيقى؛ تسمع دائما (تشايكوفسكى) بحيرة البجع.. »

ارتسمت علامات الدهشة على وجه (طارق).. وهو ينظر لـ (شيماء) التي لم تعد تملك قدرة السيطرة على ضحكها.. متسائلا:

- « لهذه الدرجة تحبين ذلك الطائر؟!.. »

ردت عنها (نجوى) قائلة:

- « الهوس سيادتك.. »

ثم غادرتهما..

انتظر (طارق) ثواني، حتى خَلت الغرفة.. وتوقفت (شيماء) عن الضحك، ثم قال ببساطة:

- « يبدو أن ذلك الطائر له تأثير جيد على نفسك؟!.. »

شردت (شيماء) فى الفراغ.. مرددة:

- « أشعر معه بالألفة ليس أكثر.. »

(طارق) بفضول:

- « لماذا؟.. »

تنهدت (شيماء) مُجيبة:

- « ربما لأنى لم أر يوما بجعة شريرة.. »

ضحك (طارق).. مرددا:

- « معك حق.. البجعة دائما طائر رقيق مسالم.. »

أضافت (شيماء) بعمق:

- « وضحية.. »

ران على الغرفة الصمت المفاجئ.. وشعر (طارق) أنها تذهب نحو أجواء الاكتئاب، لذلك أسرع يقول بمرح:

- « ماذا تحضرين لغداء اليوم؟.. »

أدركت (شيماء) محاولته لتغيير دفة الحديث، فلم تقاوم.. قائلة:

- « لم أفكر بعد.. »

نهض يحمل حقيبته.. متمتمًا:

- « أنا معك فى أي اختيار.. »

وأسرع نحو الطوارئ، لكنها استوقفته على الباب.. متسائلة:

- « ما رأيك فى أكلة شعبي.. »

أجابها وقد اختفى من أمامها:

- « مواااافق.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (سقراط) أمام منضدة متوسطة الطول، فى ردهة واسعة، يضع ساقًا فوق أخرى.. وهو يرتدى منامة بيضاء.. ويشرب ذلك الشاي ببطء، بينما يده الأخرى ترفع كتابًا ضخمًا لمستوى عينيه.

كان المكان هادئًا.. ويتم مراقبته بتركيز شديد من قِبل التمريض.

جاء (شلبي) يبحث عنه.. والذي كاد أن يصدمه أحد النزلاء، أثناء حماسه فى الانطلاق بالقاعة..

وقعت عينا (شلبي) عليه.. فتوجه نحوه مباشرة. جلس فى المقعد المقابل له فى صمت، يتأمل الكتاب الذي بين يده.. مرددا:

- « (عذراء أورليان) [6].. إنها مسرحية رائعة..»

حصل على بعض اهتمام (سقراط).. والذي سأله دون أن يرفع عينيه عن الكتاب:

- « هل قرأتها؟.. »

(شلبي) بغباء:

- « لا.. »

تجمد (سقراط) ينظر له بعمق.. فشعر (شلبي) بمدى حُمقه، فكيف يصفها بالروعة.. وهو يقول إنه لم يقرأها!.. دَفعه ذلك - سريعا - للتوضيح قائلا:

- « أقصد أنى لم أكمل قراءتها.. أو ربما شاهدتها على المسرح القومي.. »

وضع (سقراط) الكتاب فوق المنضدة.. قائلا بحسم:

- « لم يتم تقديمها على المسرح القومي.. »

ازداد الموقف إحراجا.. و (شلبي) يتمتم:

- « حقا؟.. »

أمـاء (سقراط) برأسه.. وهو يرسم علامات الامتعاض على وجهه.. بينما (شلبي) يضيف:

- « يبدو أنه قد التبس عليّ الأمر.. وشاهدت مسرحية أخرى؛ على العموم كان هذا منذ فترة طويلة.. »

(سقراط):

- « لماذا تفعل هذا دكتور (شلبي)؟.. »

الأخير باستدراج:

- « أفعل ماذا؟.. »

(سقراط) بحسم:

- « تكذب.. »

ثم صمت لحظة قبل أن يستطرد:

- « أنت لا تحب المسرح أصلا!.. »

(شلبي) بتركيز، بعدما صَدمته العبارة:

- « كيف عرفت؟.. أقصد كيف حَسمت ذلك؟.. ما الذي تملكه؟.. جعلك تتحدث فى أمور خاصة بتلك الثقة؟.. »

تأمله (سقراط) قائلا:

- « لغة الجسد.. إنها لا تخطئ أبدًا.. »

كان (سقراط) مختلفًا - تماما - فى ذلك اللقاء عن سابقه؟!.. كأن شخصًا آخر احتل جسده؟!.. فـ (شلبي) فعلا لا يُحب المسرح!..

- « يبدو أنك بارع فى ذلك.. »

(سقراط) بثقة:

- « ما زلت تحمل الشك!.. عيناك تَشى بذلك.. »

ثم أخذ يضحك بطريقة الكريشيندو الصاعدة!..

صمت (شلبي).. وضحكات (سقراط) تجذب انتباه حراس المكان، خاصة (عنتر) الذي بدأ يتحرك نحوهما بفتور..

كان (سقراط) قد نهض.. وأخذ يُشير لـ (شلبي) بسخرية مردفا؛ وهو يستمر فى الضحك:

- « لا تريد أن ترى الحقيقة مثلهم.. »

ثم فجأة صفعه بشدة..

سقـط (شلبي) علـى الأرض بالكرسي مـن عنف الضربـة، بينمـا يُكبــل (سقراط) ثلاثة من التمريض.. وهو يردد بهيستريا:

- « مزيف.. مزيف.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة عصرا..

وقت القيلولـة.. والتقـاط بعـض الأنفـاس، دلـف (طـارق) علـى مكتب (شيماء) يردد باستهلاك:

- « لقد توقفت الحالات أخيرا.. أين الغداء؟.. »

نظرت له قائلة بإثارة:

- « ليس هنا.. »

(طارق) بإحباط.. وهو يتلفت حوله:

- « هذا يعنى أن الطعام لم يصل بعد؟.. »

(شيماء) بمزيد من الإثارة:

- « ليس هذا أيضا.. »

ارتسمت الحيرة على وجه (طارق) المُستهلك.. قبل أن تدلف (نجوى) للمكتب تضيف:

- « سنأكل فى الخارج.. »

نقل (طارق) عينيه بينهما بعدم فهم.. متسائلا:

- « كيف سنترك المستشفى؟!.. قد تأتى حالة فى أي وقت.. »

نهضت (شيماء) قائلة:

- « لن نبتعد.. الكُشك على بعد خطوات.. »

ردد (طارق) بدهشة:

- « كُشك؟!.. »

ثم أسرع يلحق بهما نحو الخارج. سار الثلاثة بالفعل عدة خطوات لا تزيد عن المائة متر، قبل أن تُشير (شيماء) قائلة:

- « هنا.. »

كان هناك فعلا، كُشك متوسط الحجم يبيع كل أنواع السندويتشات.. وبجواره بعض المقاعد الخشبية. جلس الثلاثة.. قبل أن ترسل (شيماء) التحية بيدها سريعا، لذلك الرجل ضخم الجثة، الذي يقف بالداخل..

ابتسم لها الرجل فى طيبة واضحة، فى اللحظة التي تحرك فيها شاب صغير، نحوهم يحمل مائدة متوسطة الحجم، عامرة بأشهى المأكولات السريعة..

- « تفضلوا.. »

فول بالطحينة الحمراء.. باذنجان مخلل.. ليمون معصفر.. أقراص الفلافل الساخنـة.. بطاطس مهروسة.. طماطم.. سلطة.. بيض مسلوق.. بصل.. جرجير.. وتفاصيل أخرى كثيرة تفتح الشهية..

انطلق (طارق) يأكل بنهم مرددا بسعادة:

- « أنا دائما أحضر للمستشفى من الجهة الأخرى. لم أمُر يوما من تلك الناحية، لهذا لم أر ذلك الكُشك قبل اليوم.. »

(شيماء) بشغف:

- « ما رأيك؟.. »

امتلأ فم (طارق) بالطعام.. رغم ذلك قال بصعوبة:

- « هاايل.. »

ضحك الفتاتان.. ومر الوقت، حتى بدأ إيقاع (طارق) فى التعامل مع الأطباق يهدأ قليلا.. متمتما؛ وهو يرمق صاحب الكُشك بنظرة سريعة:

- « هذا الرجل لديه شخصية فى صناعة ما يفعل.. »

(نجوى):

- « اختيار (شيماء).. إنها تعرف دائما أين تأكل!.. »

(طارق) بمرح:

- « علينا إذن تدعيم صداقتنا.. »

تعالـت ضحكاتهـم الصافيـة تمـلأ الأجـواء.. لحظـة ظهـور عامـل النظافـة (حسن).. يتمتم معاتبا:

- « تفعلونها بدونى؟!.. »

(شيماء) مدافعة عن نفسها:

- « لقد بحثت عنك.. وهاتفك غير متاح.. »

جلس (حسن) ضعيف الجسد أمام المائدة على الفور.. يقول:

- « كُنت فى غرفة المدير الفني. صَمم أن أنظفها الآن.. »

نظر للمائدة شبه الخالية.. يستطرد بتذمر:

- « لم تتركوا شيئا.. »

ضحكت (نجوى) تردد.. وهي تنظر لـ (طارق):

- « هناك مَنْ قضى عليها.. »

ابتسم الأخير.. قبل أن يُشير لصاحب الكُشك، طالبا التعزيز..

حضرت مائدة أخرى.. و (شيماء) تردد:

- « الحمد لله.. لن أستطيع أكل المزيد.. »

(نجوى).. وهي تشرب:

- « أنا أيضا.. »

(حسن) بسعادة:

- « عظيم.. »

ران عليهم أجواء الألفة والمرح، حتى أخرجت (شيماء) العقد الذي ينتهى ببجعة، تُريه لـ (حسن).. متمتمة:

- « انظر.. وجدت هذا اليوم فى الدرج.. »

اختفت ابتسامة الأخير لثوانٍ.. وهو يرمق (طارق) بنظرة سريعة، مرددا:

- « جميل.. »

وضع الأخير بعض الطعام فى فمه بعدم حماس.. متسائلا بحذر:

- « يبدو أن هذا الشاب قريب منك.. »

ضاقت عينا (شيماء).. متسائلة بارتباك:

- « لماذا تقول هذا؟.. »

هز (طارق) كتفيه.. وهو يُجيبها:

- « بدأ يرسل هدايا لأشياء تحبينها.. وهذا يدل أنه يعرفك جيدا.. »

تبادلت نظرة قلق وحيرة مع (نجوى).. قبل أن تضيف:

- « هذا يجعلني متوترة على فكرة!.. بل ويُشعرني بالخوف أيضا.. »

(طارق) بدهشة:

- « لماذا؟.. »

حاولت (شيماء) استجماع أفكارها.. قائلة:

- « أنت لا تدرى شعور أي فتاة، عندما تعرف أن هناك مَنْ يطاردها.. »

(طارق) بدهشة:

- « وهل ما يحدث معك تصنيفه مطاردة؟..

- « نعم.. »

(طارق) بعدم اقتناع:

- « لست معك فى هذا، أنا أرى الموقف كله ببساطة؛ عبارة عن شاب خجول يحاول التعبير عن مشاعره.. »

نظرت له (شيماء) بعمق مرددة:

- « هذا ما تتمناه بداخلك.. وليس الحقيقة.. »

- « وكيف عرفتِ أنه ليس الحقيقة؟.. »

(شيماء) بحسم:

- « الخيال دائما يرسم أجمل صورة للواقع.. »

كاد (طارق) أن يضيف عبارة أخرى.. لولا أن رن هاتف (شيماء)..

فتحت الخط تستمع.. قبل أن تردف:

- « دقيقة.. وسأكون هناك.. »

أغلقت الخط.. وهي تنهض تضيف:

- « الطوارئ تطلبني.. »

نهضت (نجوى) هى الأخرى تردد:

- « أنا آتية معك.. »

لـوح لهـا (طــارق) ببساطـة.. وانتظـر حتـى اختفت مـن أمامـه بصحبة (نجوى)، ثم استدار يقول لـ (حسن):

- « مَنْ وضع تلك البجعة؟.. »

الأخير بحيرة:

- « لا أعرف.. أنا لا أضع شيئا منذ آخر اتفاق لنا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7 - الحائرة..

صاحب الشخصية الأقوى فى أي علاقة، هو الشخصية صاحبة الاهتمام الأقل؛ لهذا يملك - دائما - القدرة على الرحيل فى أي لحظة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة والنصف مساء..

محل كشرى شهير (توم and بصل) أول شارع (عباس العقاد)..

الثلاثة أصدقاء من جديد؛ (ماجـد) الذي يكـاد أن يسقـط مـن الجـوع، (طارق) المُرهق بشدة، وأخيرا (شلبي) ينزل من تاكسي على الجانب الآخر من الرصيف، يرتدى نفس النظارة السوداء..

- « ها هو بروفيسور (سيكو).. »

أشار (ماجد) نحوه قائلا تلك العبارة.. ثم التفت لـ (طارق) مستطردا بحماس:

- « انتظره أنت.. وأنا سأدخل أحجز لنا طرابيزة.. »

ولم يعطه فرصة للرد.. وهو يسرع نحو المحل، بينما وقف (طارق) ينتظر (شلبي) الذي كان يجد صعوبة فى عبور الإشارة دائمة الزحام.

- « لماذا تأخرت هكذا؟.. »

(شلبي) ببساطة:

- « العمل.. »

سار معه (طارق) نحو المحل ببطء.. متمتما بسخرية:

- « تلك النظارة تجعلك وغدًا.. »

(شلبي) بأسف:

- « اعرف.. لكنها الضرورة.. »

وخلعها.. ليرى (طارق) عينه الثانية التي أصيبت!.. لم يستطع الأخير مقاومة رغبته فى الضحك الشديد.. وهو يدلف للمحل؛ قائلا:

- « هذا المريض حقا - كما أخبرك (ماجد) - سيقضى عليك.. »

(شلبي) بتحفز كوميدي:

- « المرة القادمة.. أعدك أن أكون مستيقظا.. »

استمر (طارق) فى الضحك على طريقته فى الحديث، بينما (شلبي) يُعيد النظارة لعينيه سريعا.. مردفًا باهتمام:

- « لا أريد أن يرى (ماجد) ذلك.. »

ربت (طارق) على كتفه بود.. مرددا بمرح:

- « لا تقلق.. »

ومر الاثنان بين تلك الممرات الضيقة للمكان المزدحم، حتى لمَحا (ماجد) يحتل طرابيزة كبيرة فى أقصى يسار الردهة.. ويشير لهما.

تلفت (طارق) حوله، فلم يجد مقعدًا فى المحل خاليًا!.. بل على العكس كان هناك زبائن تقف منتظرة!..

قال لـ (ماجد) بدهشة لم تخل من الإعجاب.. وهو يجلس أمامه:

- « كيف حصلت على هذا؟.. »

غمز له (ماجد) بعينه مرددا.. وهو يشير لفتاة تعمل بالمكان، يبدو أنها كانت تنتظر إشارته..

- « لكل منا أساليبه.. »

لـم يفهـم (طـارق) مـغزى عبارتـه، إلا بعدمـا وقفت الفتاة أمامهم تنظر لـ (ماجد) بإعجاب لم تستطع مداراته.. وتنتظر ماذا سيطلبون!

كانت بسيطة.. هادئة.. وتضع بعض مساحيق التجميل الرقيقة.

ران الصمت عليهم لثوانٍ.. قبل أن يقطع ذلك (شلبي) قائلا:

- « أريد طبق كشرى كبير.. ونصف فرخة مشوية.. »

الفتاة بإحراج:

- « عفوا.. نحن لا نقدم الفراخ.. »

(شلبي) بارتباك:

- « معذرة.. فهذه أول مرة أدخل هنا.. »

تدخل (ماجد) لإنهاء الموقف.. طالبا قائمة طعام متعددة؛ بعدها رمقته الفتاة بنظرة أخيرة.. ثم انصرفت متمتمة:

- « دقائق ويكون الطعام جاهز.. »

انتظر (طارق) حتى ابتعدت.. ثم نظر لـ (ماجد) متسائلا بلهجة؛ لا تستطيع التمييز فيها بين الجدية والسخرية:

- « هل تفعل هذا فى كل محل تذهب إليه؟.. »

(ماجد) بخبث:

- « أفعل ماذا؟.. »

- « تغوى فتاة كي تحجز لك مقعدًا.. »

ابتسم (ماجد) متمتما:

- « مِنْ حق كل فتاة أن تحلم قليلا.. »

تدخل (شلبي):

- « لكنك تعرف أنك لن ترتبط بها.. أو حتى تفكر فيها.. »

(ماجد) بحسم:

- « اطمئن.. طموحها لن يتجاوز الإعجاب.. »

(طارق):

- « وكيف تضمن ذلك؟.. »

هز (ماجد) كتفيه قائلا ببساطة:

- « أنا الطرف الأقوى فى العلاقة.. وأستطيع تحديد مسارها.. »

(شلبي) بكوميدية:

- « مغرور.. »

ضحك (ماجد):

- « لا.. أنا جائع.. »

واستمر فى الضحك بشكل منفرد. كان يريد تغيير دفة الحديث، لكن (طارق) لم يسمح له بذلك، انتظر حتى انتهى.. ثم عاد متسائلا:

- « طالما أنك تهتم بالفتيات، لماذا لم أرك يوما تحاول الاقتراب من طبيبة؟!.. بل على العكس؛ أجدك دائما تعاملهم بقسوة.. »

(ماجد) بسخرية:

- « لأنهم يستحقون ذلك.. »

- « لماذا؟.. »

أصاب (ماجد) بعض الجدية.. قائلا بتفكير:

- « غالبيتهم يحمل ذات متورمة.. يعقدون الأمور.. يتدخلون فيما لا يعنيهم.. ينسون دورهم الأول داخل البيت على حساب الخارج.. »

ضاقت عينا (شلبي).. معلقا:

- « هذا غير مُقنع، إنها مبررات يضعها عقلك الباطن، كي تجد غطاء مناسبًا لتبرير أفعالك.. بينما أنت فى الحقيقة تحب السيطرة.. تخاف من الندية؛ وهذا ما يجعلك تفضل التعامل مع الفتيات سهلة القيادة، لإرضاء نزعة التفوق بداخلك.. »

عاد (ماجد) للسخرية.. متمتما:

- « هل ستلعب معي الآن دور بروفيسور (سيكو)؟.. إنه المكان الخطأ لفعل هذا.. »

حاصره (طارق):

- « هل تُنكر أنك تحب فتيات التمريض؟.. وتعاملهم بشكل جيد.. »

راوغ (ماجد):

- « لا.. لا أنكر ذلك، لكن عندي تبريرًا للأمر.. »

(شلبي):

- « ما هو؟.. »

أخذ (ماجد) نفسًا عميقًا.. ثم أجابه:

- « عندما يكون هناك فارق عقلى أو دراسي أو حتى مادى، بينك وبين تلك الفتاة التي تُعجب بك.. ستجدها تحاول باستمرار تعويض ذلك الفارق بينكما؛ بمزيد من الاهتمام.. الحب.. السعي لإرضائك.. وهذا ما يحلم به أي رجل على ذلك الكوكب.. »

هز (طارق) رأسه فى رفض.. قائلا:

- « لا يروق لى طريقة تفكيرك.. ويوما ما ستتلقى درسًا قاسيًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

محطة مترو (دار السلام)..

ودعت (شيماء) صديقتها (نجوى)، قبل أن تسير نحو منزلها القريب، وسط تلك العشوائيات.

كان كلما ابتعدت.. زحف الظلام والسكون أكثر على الشارع، حتى وصلت لعمارة قبيحة اللون.. متوسطة الارتفاع..

صعدت بهدوء لشقة الأسرة. استقبلتها الأم بروتينية.. قبل أن تدلف لغرفتها فى صمت، ترتمى فوق السرير..

لاحقتها الأم متسائلة:

- « هل أحضر لك الطعام؟.. »

(شيماء):

- « لست جائعة.. »

كادت الأم أن تغادرها.. لكن (شيماء) استوقفتها تردف:

- « أين (سالي)؟.. »

الأم بعدم رضا:

- « لا أعرف.. لكنها قالت إنها سوف تتأخر.. »

وغادرتها..

ظلت (شيماء) تنظر لسقف الغرفة شاردة بعض الوقت، ثم نهضت تغلق الباب عليها من الداخل.

بعدها جلست أمام المرآة.. تتأمل وجهها بحيرة، متمتمة:

- « لماذا هذه المرة تهتمين؟!.. » لقد أضعتِ مِنْ قبل كل الفرص التي كانت تُتاح لك للارتباط!.. »

رددت بعذاب:

- « لماذا كان كل هذا الحذر منذ البداية إذن؟.. هل تخافين الضعف أمام أحد لتلك الدرجة؟.. أم تُصعبين الأمر، اعتقادا أن هذا سيفرز شخصًا يستحقك.. »

دمعت عيناها:

- « ها قد وصل بك الحال لتسول المشاعر!.. أنت من اختار أن يعيش فى الظل!.. فلا تبكين الآن.. »

فى تلك اللحظة سَمِعت باب الشقة الخارجي يُفتح.. فأسرعت تمسح دموعها.. وتنهض محاولة تمثيل انشغالها بترتيب ملابسها.

دلفت أختها (سالي) - التي فوجِئت بوجودها - تردد:

- « ليس من عادتك العودة مبكرا هكذا.. »

وسريعا.. التقطت فستانًا قصيرًا ضيقًا.. وشرعت فى ارتدائه. تابعتها (شيماء) باستنكار.. متسائلة:

- « ماذا تفعلين؟.. »

مطت (سالي) شفتيها.. مرددة بسخرية:

- « أستعد للخروج.. هل هذا يبدو غامضا لتلك الدرجة.. »

(شيماء) بحدة:

- « إنها تقترب من العاشرة!.. »

- « أعرف.. هل ستمنعينني.. »

(شيماء) بحسرة:

- « بابا لو كان عايش كان منعك.. »

سريعا جلست (سالي) أمام المرآة، تضع بعض المساحيق على وجهها، متمتمة:

- « بابا مات.. وتركنا فقراء.. »

(شيماء) بانفعال:

- « لكننا مستورون.. »

مرت دقيقة.. أنهت خلالها (سالي) وضع مكياجها.. قبل أن تنهض قائلة بسخرية لأختها الوحيدة:

- « سأتركك وسط عالم البجع الذي تعيشين فيه.. »

كادت (شيماء) أن تقول شيئا ما.. لكن فجأة أتى صوت كلاكس عربية مزعجًا يقتحم السكون، فانطلقت تفتح الشباك..

- « مَنْ هذا؟.. »

(سالي) وهى تُشير لذلك الشاب:

- « ليس من شأنك.. »

مسكتها (شيماء) من ذراعها بعنف متمتمة:

- « لن أدعك تنزلين.. »

نظرت لها (سالي) وهى تقول بقسوة:

- « لقد مللت من لعبك دور العاقلة المثالية التي تعطى النصائح، أنا لن أكون مثلك.. لن أقضي ما بقي من عمري أسيرة تلك الجدران.. »

التقت أعينهما لثانية.. قبل أن تتركها (شيماء) تخرج.. وقلبها يعتصره الألم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جاء الطعام وانهمك الثلاثة أصدقاء فى تناوله، على أنغام تلك الموسيقى التي تنبعث من مكان ما لا تستطيع تحديده؛ قبل أن يسأل (شلبي) (طارق) ببساطة:

- « ما آخر مستجدات قصتك.. »

مط (طارق) شفتيه.. مجيبًا:

- « لا جديد.. ما زال اللغز قائما.. »

(شلبي) بتفكير:

- « أريد رؤية تلك الفتاة.. »

ضحك (طارق).. قائلا:

- « لا أرجوك.. أريد أن تظل بعقلها.. »

كان (ماجد) قد خرج من دائرة الحوار.. وسقط فى طبق الكشري الكبير الذي أمامه، بينما يعود (شلبي) قائلا بكوميدية:

- « هذا اللقاء سيجعلني أقف على تشخيص نهائي لحالتها.. »

اتسعت عينا (طارق) مرددا:

- « عظيم.. بتلك السرعة جعلت منها حالة؟!.. إنها فتاة عادية صدقني.. »

هز (شلبي) رأسه.. قائلا برفض:

- « لماذا أشعر بذلك الإحساس نحوها إذن؟.. »

ابتسم (طارق).. مجيبا:

- « لأنها طبيعتك.. ترى الناس كلها مرضى نفسيين!.. »

- « لا.. هناك شيء ما يتعلق بتلك الفتاة.. »

اقتحم (ماجد) عليهما الحوار.. قائلا بحدة:

- « الشطة لو سمحت.. »

ضحك (طارق).. و (شلبي) يُعطيه طلبه بضجر:

- « تفضل.. »

التقطها (ماجد).. وأخذ يُغرق طبقه بها مرددا:

- « أشكرك على كرم أخلاقك.. »

ساد بينهم جو من المرح.. ومر الوقت سريعا.. حتى خرج الثلاثة للشارع من جديد، تثاءب (طارق) متمتما:

- « أكاد أسقط من التعب.. »

(شلبي):

- « سأبيت عندك الليلة.. »

أشار له (طارق) بترحيب.. بينما عيناه تبحث عن تاكسي.. فى حين أضاف (ماجد) بمرح:

- « بؤساء.. أنا لم تنته الليلة عندي بعد.. »

وغمز لهما بعينه.. قبل أن يستطرد:

- « عندي موعد.. »

(طارق) بسخرية:

- « فتاة جديدة.. غير فتاة المطعم؟.. »

(ماجد).. وهو يلوح بيده يهيم فى الفراغ:

- « نعم.. لكنها ساحرة.. صعبة القيادة.. »

(شلبي):

- « غريبة!.. أنت هكذا تخالف قواعدك، التي كُنت تُلقيها علينا فى الداخل منذ قليل، ألم تُخبرنا أنك تفضل تلك النوعية البسيطة السهلة التي بينك وبينها فارق، كي يصب ذلك لصالحك فى النهاية.. »

زفر (ماجد) قائلا تلك الكلمة الشهيرة، محاولا وصف الأمر:

- « It is complicated.. »

ولوح لهما مردفا:

- « سلام.. »

تأمله (طارق) يبتعد مرددا:

- « وغدا!.. »

(شلبي):

- « لا تلوم عليه.. لقد كُنت مثله فى مرحلة ما من حياتك؟!.. »

لم يعترض (طارق):

- « لكنى لم أصل لتلك الدرجة، لم أستطع يوما الارتباط بأكثر من فتاة فى وقت واحد، مثلما يفعل هو الآن!.. »

- « لا تقلق.. سيصاب بالملل قريبا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8 - كافيين..

قدر المرأة أنها خُلقت النصف الجميل، الذي لا بد أن يظل مُحافظًا على جماله الداخلي والخارجي طيلة الوقت؛ وإلا دارت العين عنه.

المرأة هى العنصر المُلطف لهذا الكون.. والذي لا بد أن يظل بعيدًا عن الاستهلاك والتشوه، كي يظل يؤدى رسالته؛ التي أتى من أجلها.. وهي جعل الحياة أكثر احتمالا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المعادي..

شارع (64)..

كافيه (كافيين) (caffeine)..

مكان أنيق.. إنترنت مجاني.. مقاعد خارجية هادئة؛ وأخرى داخلية صاخبة.. ركن للرقص.. موسيقى جاز أحيانا.. أخيرا بار يقدم كل أنواع السندويتشات السريعة والمشروبات التي تتخيلها، من أول قهوة (الإسبريسو) (Espresso)، مرورا بالحلويات والكُوكيز حتى المشروبات الكحولية.

كان المكان من الخارج يعطى طابع الاحترام والخصوصية، لكنه من الداخل مُنفلت؟!.. وبمجرد أن تدخل - وتتطلع للوجوه - تشعر بالارتياب!..

(جو) صاحب المحل، المتواجد دائما.. شاب وسيم غامض متوسط العمر.. بارد الملامح.. ذقن رفيعة.. شعر لامع مفرود ومسحوب بعناية للخلف، لا أحد يعرف متى ظهر فى المنطقة؛ ولا إلى أي عائلة ينتمي؟!..

كان دائما يحب العبث فى شيء ما بين أصابعه، أثناء حديثه معك، حتى يبدو فى صورة الوغد المسيطر على الأمور.

دلف (ماجد) لـ (كافيين) بهدوء يبحث عن تلك الفتاة، فاستقبلته فتاة أخرى مائعة تقول بخبث:

- « تبحث عن (سالي)؟.. أليس كذلك؟.. »

وبجرأة وضعت يدها على كتفه.. مستطردة بتلذذ:

- « لن تأتى اليوم.. »

أزاح (ماجد) يدها عن كتفه برفق.. قائلا بثقة؛ بينما عيناه ما زالت تمسح المكان:

- « غريبة.. مع أننا على موعد.. »

نفثت الفتاة دخان سيجارة فى يدها.. متمتمة بغيظ:

- « تلك عادتها.. »

هنا ظهرت (سالي) - فجأة - تأتى من عمق المحل ترتدى فستانًا قصيرًا أسود ضيقًا، أظهر جمالها.. قبل أن تقف أمام (ماجد) تقول ببساطة:

- « أهلا دكتور.. لماذا تأخرت؟.. »

ونظرت للفتاة تستطرد بحدة:

- « أنا أنتظرك منذ فترة.. »

ارتسمت علامات الغضب على وجه الفتاة، التي تسارعت أنفاسها.. وهي تأخذ نفسًا عميقًا من سيجارتها.. متمتمة بغِيرة واضحة:

- « (سالي) حبيبتي.. لم أُشاهدك حين تدخلين المحل.. »

وأسرعت تحتضنها.. دون أدنى رد فعل من (سالي).. التي قالت ببرود:

- « بعد إذنك.. »

- « تفضلي يا حبيبتي.. »

وظلت الفتاة تتأملهما حتى ابتعدا.. قبل أن ترمى السيجارة على الأرض، وتسحقها بغل.

رافقت (سالي) (ماجد) نحو البار.. متسائلة:

- « ماذا كانت تقول لك؟.. »

هز (ماجد) كتفيه مُجيبا ببساطة:

- « لا شيء.. »

(سالي):

- « ثواني.. وأعود إليك.. »

أماء (ماجد) برأسه.. وظل يتابعها حتى ذهبت لركن بعيد داخل المحل.. وانحنت على شاب تهمس له بجملة سريعة - قُرب أذنه - كأنها تودعه، قبل أن تعود إليه متمتمة بمرح:

- « هل طلبت شيئا؟.. »

تجاهل (ماجد) السؤال.. قائلا:

- « مَنْ هذا؟.. »

جلست (سالي) تقول باقتضاب:

- « صديق.. »

وابتسمت وهى تُشعل سيجارة.. مستطردة بإثارة:

- « هل تَغير منه؟.. »

(ماجد) بشبه عصبية لم يستطع مداراتها:

- « وهل بيننا شيء، حتى أغَير عليك؟.. نحن مجرد أصدقاء، نقضي وقتًا لطيفًا مع بعض.. »

ضحكت (سالي) بصوت عالٍ.. قائلة:

- « هل تصدق هذا؟.. »

أصاب (ماجد) الغضب.. وكاد أن ينصرف مرددا:

- « يبدو أن وجودي هنا كان خطأ - فعلا - منذ البداية.. »

وشرع فى النهوض.. فاستوقفته (سالي) بجرأة.. مرددة:

- « انتظر.. لم أكن أقصد شيئا.. »

التقت أعينهما لثوان؛ قبل أن يصيب (ماجد) الضعف بشكل غريب على شخصيته!.. فتراجع عن قراره.. وعاد للجلوس متمتما:

- « لا أحب الفتاة التي تدخن.. »

عادت (سالي) تضحك.. قائلة بثقة:

- « لقد عرفتني هكذا!.. ما الذي تغير الآن؟.. »

(ماجد) محاولا الإجابة:

- « أشعر أن التدخين لا يليق بك.. »

نظرت (سالي) لعينيه بعمق.. متمتمة:

- « لا.. الحقيقة أنك فقط غير معتاد على هذا السلوك من الفتيات التي تعرفها!.. وصدقني لعل هذا ما يجذبك نحوي!.. »

(ماجد) بحيرة:

- « ربما.. لكنه يظل سلوكًا مرفوضًا.. »

(سالي) بسخرية:

- « ومقبول من الرجل؟!.. »

لم يملك (ماجد) إجابة.. فاستطردت مضيفة وهي تبتسم:

- « فات الوقت على تعلم الفضيلة.. »

تنهد (ماجد).. قائلا بتفكير:

- « شكلك لا يناسب تفكيرك.. »

أطفأت السيجارة.. مرددة:

- « دمك ثقيل الليلة.. ويبدو أننى الذي سوف أغادرك.. »

ابتسم (ماجد) - أخيرا - عائدا لشخصيته المرحة:

- « خلاص.. لا فضيلة بعد الآن.. »

(سالي).. وهي تشعل سيجارة أخرى بمرح:

- « هذا هو (ماجد) الذي أعرفه.. »

ضحك الاثنان بصوت عالٍ.. و (البارمان) يقترب متسائلا:

- « مساء الفل.. »

(سالي) بسرعة:

- « أريد بِيرة.. »

(ماجد) بعد تفكير لثوان:

- « لاتيه فرابيه.. »

ضحك (البارمان) الشاب.. قائلا بثقة:

- « يبدو أنك أدمنت ذلك المشروب.. »

(ماجد).. وهو ينظر لـ (سالي):

- « البركة فيمَنْ عرفني عليه.. »

تعالت ضحكات الثلاثة؛ فلفت ذلك انتباه (جو).. الذي تأملهم من موقعه عن بعد، قبل أن يقول ببرود لرجل يقف بجواره:

- « هذا الشاب أصبح يأتي كثيرا المحل.. »

- « إنه أحد أصدقاء (سالي).. »

ضاقت عينا (جو) متمتما بضيق:

- « لا أرتاح له.. »

انحنى الرجل يقول:

- « أوامرك مستر (جو).. »

اعتدل الأخير فى مقعده.. يقول بلهجة آمرة:

- « أريد أن أعرف ما الذي وراءه.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادية عشرة مساء..

المعلم (صابر) يطرق باب شقة (طارق) بعنف؟!.. يفتح الأخير.. ووجهه يحمل علامات الانزعاج متمتما:

- « خير يا معلم.. »

يدلف المعلم (صابر) لردهة الشقة دون إذن، ومن خلفه صَبيه (حودة).. قائلا بحدة:

- « بَلغني أنك تؤجر الشقة مفروشًا دون علمي.. »

ضاقت عينا (طارق)، محاولا استيعاب العبارة.. متسائلا:

- « مَنْ أخبرك بهذا؟.. »

أشاح (حودة) بوجهه.. مما جعل (طارق) يشك فيه.. والمعلم يُجيبه:

- « ليس مهما الآن من أخبرني.. المهم أنك تفعل هذا أم لا؟.. »

ابتسم (طارق) قائلا بسخرية:

- « طبعا لا يا معلم.. »

(حودة) فى شك:

- « مَنْ معك إذن فى الشقة؟.. »

تأكد الشك لدى (طارق) أن ذلك الأخير، هو مَنْ وضع فى رأس المعلم (صابر) تلك الفكرة.. مما جعله يقول بمزيد من السخرية:

- « وهل يعنى وجود أحد الأصدقاء معي؟!.. أنى أؤجر الشقة مفروشًا؟.. »

ظلت ملامح المعلم (صابر) صارمة.. وهو يردد:

- « لقد حذرتك.. إنه بيت عائلة.. »

(طارق) بجدية:

- « وما الذي حدث يا معلم حتى تقول ذلك الكلام؟.. »

هنا ظهر (شلبي).. يتطلع لوجوههم ببراءة.. قائلا:

- « مساء الخير.. »

لم يرد عليه أحد التحية!.. وساد الصمت بشكل كوميدي.. والمعلم يقترب منه بكرشه الضخم، قائلا دون مقدمات:

- « لقد رأيتك على القهوة من قبل.. »

تدخل (حودة) يؤكد الكلام:

- « نعم يا معلم.. وكان معهم شخص ثالث.. »

نظر (شلبي) لـ (طارق).. متسائلا:

- « فيه إيه؟.. »

تجاهل الأخير السؤال.. والتفت للمعلم قائلا:

- « هناك سوء تفاهم يا معلم.. »

ونظر لـ (حودة) فى غيظ.. مستطردا:

- « فيبدو أن أحد الأغبياء، قد أخبرك بشيء لم يحدث.. »

وأشار.. مردفا:

- « هذا الدكتور (شلبي)؛ صديقي.. أحيانا يبيت عندي للمذاكرة.. »

مد الأخير يده مصافحا ببساطة:

- « أهلا يا معلم.. »

لانت ملامح (صابر) قليلا.. وهو يرمق (حودة) بنظرة تَوعُّد، قبل أن يتنحنح قائلا بإحراج:

- « أهلا بيك.. وحضرتك دكتور فى إيه بقي؟.. »

كاد (شلبي) أن يقول نفسية وعصبية، لكنه تراجع عن ذلك فى آخر لحظة.. مُجيبا بطريقته التي تدفع للضحك:

- « مخ وأعصاب.. »

المعلم بانبهار:

- « دكتور فى النفوخ ياعنى.. »

قاوم (طارق) الضحك.. وهو يُضيف مؤكدا:

- « بالضبط يا معلم.. »

التفت إليه (صابر).. مرددا:

- « أنا آسف على إزعاجكم يا دكتور.. منه لله اللي كان السبب؟.. »

تدخل (طارق) لإنهاء الموقف.. وهو ينظر للبائس (حودة) بشماتة.. متمتما:

- « أبدا يا معلم.. نحن ضيوف عندك.. »

(صابر).. واضعا يده على صدره:

- « لا تقل هذا.. البيت بيتك.. »

إلى هنا وكاد الموقف أن ينتهى.. لكن فجأة ظهرت تلك الفتاة الجميلة على باب شقة (طارق) تمسك كتاب محاسبة.. وتقول بتلقائية:

- « أمي تريدك يا بابا.. »

تعلقت كل العيون بها.. والمعلم (صابر) يردد بحدة:

- « أخبريها أنى طالع.. »

تسكعت الفتاة.. وهي ترمق (طارق) بنظرة سريعة مُتفحصة، لم تخل من الإعجاب.. وتنسحب فى صمت مرددة:

- « لا تتأخر.. »

كانت تلك هى (دارين) [7] بنت المعلم الوحيدة المُدللة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهى الموقف.. وغادر المعلم (صابر) الشقة..

جلس (طارق) و (شلبي) فى تلك البلكونة الصغيرة، التي تطل على الشارع.. والأخير يسأل:

- « مَنْ هذا الكائن؟.. »

ابتسم (طارق) جالسا:

- « صاحب البيت.. »

ضاقت عينا (شلبي).. وهو يُلوح بإصبعه.. مرددا:

- « نموذج مُجسم للصورة السينمائية العالقة فى ذهني منذ الصغر!.. حتى ابنته تُشبه لحد كبير (نادية الجندي) فى شبابها.. »

اتسعت ابتسامة (طارق).. مُضيفا باستنكار:

- « ليس لتلك الدرجة!.. »

هز (شلبي) رأسه قائلا بتوضيح:

- « أقصد من جانب الشخصية.. وليس الشكل طبعا؛ هل لاحظت كيف كانت تنظر إليك؟.. إنها وقحة.. »

تنهد (طارق).. مُجيبا:

- « نعم.. هذا لا يبشر بخير.. »

ربت (شلبي) على كتفه.. قائلا بمرح:

- « تلك النوعية أعرفها جيدا؛ ستبدأ فى ملاحقتك سريعا.. فأنت بالنسبة لها عريس مناسب.. »

ضحك (طارق).. قائلا بسخرية:

- « من أين تأتى بكل تلك الثقة.. »

(شلبي) ببساطة:

- « كما أخبرتك من قبل.. حساسية التخصص.. »

(طارق) بحسم:

- « اطمئن.. الباب سيظل مغلقا.. »

(شلبي):

- « المشكلة ليست فيك.. »

وأشار لأعلى مستطردا بهمس:

- « بل عندها.. »

نظر (طارق) لأعلى بشكل غريزي.. وإذ فجأة يهبط أمامه تلك السلة الخوص إياها؛ المربوطة بحبل طويل.. لتعلق بالبلكونة.

انتفض الأخير.. ووقف لا يدري ماذا يفعل؛ حتى سمع ذلك الصوت الأنثوي الرقيق، يأتي من أعلى:

- « لا مؤاخذة يا دكتور.. »

نظر (طارق) لأعلى.. فوجدها (دارين) ابنة المعلم. أعطاها تلك الابتسامة المفتعلة.. مرددا:

- « حصل خير.. »

وقام بتحرير السلة.. لتطير فى الفراغ..

قالت بثقة:

- « أزعجتك؟.. »

- « لا أبدا.. »

وسحب (شلبي) للداخل بسرعة.. الذي قال:

- « لقد أخبرتك أنها ستبدأ فى ملاحقتك.. »

تنهد (طارق).. متمتما بدهشة:

- « لقد أتى ذلك سريعا.. سريعا جدا!.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9 - الوجه الآخر..

(سالي)؟!..

نموذج واضح للفتاة التي أفسدها التدليل، بعدما اعتادت الحصول على كل الأشياء بأقل مجهود ممكن!..

لماذا تتعب؟.. لماذا تحرق طاقة؟..

فجمالها جاذب لكل شيء..

يمرر كل شيء دون عناء..

ولعل هذا ما جعلها تتمتع بتلك الأخلاق الأنانية العنيفة أحيانا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح يوم عادى..

تسللت (سالي) لسرير (شيماء) بخفة، تعبث فى شعرها ووجهها بتلك الريشة الصغيرة.. حتى استيقظت الأخيرة تفتح عينيها بصعوبة..

أخذت (سالي) تضحك، بينما (شيماء) تعتدل فى السرير متسائلة، كأن شيئا لم يكن:

- « كم الساعة الآن؟.. »

ولم تنتظر إجابة أختها، بل نظرت لتلك الساعة القديمة بجوار السرير.. فوجدتها تُشير إلى العاشرة صباحا..

انتفضت جالسة تقول بضيق:

- « كيف لم يرن ذلك المنبه اللعين فى الثامنة.. »

والتقطته.. تفحصه.. مستطردة:

- « لقد ضبطه بنفسي على ذلك.. »

أسرعت (سالي) تقول بحذر:

- « أنا من لغى الضبط.. »

وضعت (شيماء) المنبه فى عنف.. وصرخت قائلة:

- « كيف تفعلين ذلك؟.. ماذا سأقول لدكتور (مورو) الآن.. »

(سالي) بمرح:

- « وجدتك تحتاجين إلى النوم.. »

قذفتها (شيماء) بتلك الوسادة.. وأسرعت نحو حمام صغير، مُلحق بالغرفة.. تردد:

- « سيكون لهذا حساب معك.. »

لاحقتها (سالي) تقول:

- « وأنا مستعدة.. لأي ترضية.. »

ران الصمت بينهما لدقيقة.. قبل أن تستطرد (سالي) مرددة بلهجة اعتذار واضحة:

- « (شيماء).. »

الأخيرة وهى تغسل أسنانها:

- « امممممم.. »

- « أرجو أن يكون ما حدث بيننا أمس لم يؤثر عليك.. »

عاد الصمت.. قبل أن تضيف (سالي) من جديد:

- « أصبحت لا أعرف ما الذي يُصيبني أحيانا!.. فجأة أجد نفسي عصبية.. وأقول أشياء غير مناسبة.. »

ظهرت (شيماء) تنظر لها بعمق.. مرددة:

- « تقولين الحقيقة؟.. »

لاحقتها (سالي) مرددة:

- « لا.. »

ونظرت فى عين أختها تستطرد بتأثر:

- « أنت أفضل منى.. لقد حاولت كثيرا أن أكون مثلك، لم أستطع.. أنت من يفوز فى النهاية دائما.. »

امتلأت عينا (شيماء) بالدموع.. وهي تردد:

- « أنا أخاف عليك.. »

وهزت رأسها.. تضيف:

- « تستحقين حياة أفضل مما تفعلين.. »

مسحت (سالي) دموع أختها.. قائلة:

- « أعرف.. لا تخافي على أختك.. »

ثم احتضنتها.. وهي تُغير اتجاه الحديث، متسائلة بلهجة توعد تدفع للضحك:

- « لو فعل دكتور (مورو) هذا معك شيئا.. فقط أخبرينى.. »

ابتسمت (شيماء) رغما عنها.. مرددة:

- « ماذا ستفعلين؟.. »

لوحت (سالي) بيدها.. قائلة:

- « إعادة هيكلة.. »

ضحك الاثنان بصوت عالٍ.. و (شيماء) تضيف:

- « ربنا يستر.. »

فى تلك اللحظة فتحت الأم عليهما الغرفة تقول بروتينية:

- « الإفطار جاهز يا (شيماء).. »

شعرت (سالي) بالغضب.. قائلة:

- « كأنها لا تراني!.. »

(شيماء) باسترضاء:

- « غاضبة مما فعلتيه أمس. لكن لا تقلقي سأقوم بإصلاح الأمر.. »

لانت ملامح (سالي) متمتمة:

- « حبيبتي.. »

واحتضنتها من جديد..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (شلبي) يرتب تلك الأوراق الكثيرة التي أمامه، بارتباك واضح، قبل أن يدلف لمقابلة الدكتور (شرنوبي)..

لمحه دكتور (صفوت)؛ والذي كان فى طريقه للعنابر.. فتوقف يتأمل عينيه المتورمة، قائلا بسخرية:

- « هل أقوم لك بترتيب جلسة استماع أخرى مع (سقراط) اليوم، أم تفضل الراحة بعض الوقت؟.. »

قالها.. وهو يُشير لعينيه بشماتة.. ضاحكا..

فأعطاه (شلبي) ابتسامة سخيفة.. متمتما:

- « لطيف.. »

ثـم لَـم كـل أوراقه.. وأسرع نحو مكتب دكتور (شرنوبي) يطرقه. غَلف (شلبي) التوتر.. وهو يسمع كلمة «ادخل» تَبدر من دكتور (شرنوبي).

كان الأخير يتطلع لكتاب ضخم أمامه باهتمام، لدرجة أنه غَفل (شلبي) لبعض الوقت، قبل أن يرفع وجهه إليه.. متسائلا:

- « ما أخبار رسالتك.. »

أسرع الأخير يضعها أمامه بحذر.. متمتما:

- « أرجو أن تنال دعمك.. »

بدأ دكتور (شرنوبي) يتفحصها ببطء، دون أن يبدو منه أي رد فعل، حتى مر قرابة العشر دقائق، دون أن يحرك أحد ساكنا.

وصل الدكتور (شرنوبي) للفهرس.. مرددا:

- « تبدو مُبشرة.. »

(شلبي) بسعادة:

- « حقا؟.. »

(شرنوبي).. وهو يتأمله بتفحص:

- « هل هذا يُسعدك؟.. »

(شلبي) بحماس:

- « طبعا.. فأنت أستاذي.. »

لم يحصل (شلبي) على اهتمامه المتوقع بعد العبارة.. وهو يقول بقسوة باردة:

- « تلك الرسالة غير محسومة النتائج؟.. فأنت لم تذكر فيها الرأي النهائي للحالة الرئيسية.. »

ارتبك (شلبي).. قائلا:

- « هى فعلا لم تكتمل. أحتاج بعض الوقت، من أجل ..... »

قاطعة الدكتور (شرنوبي) بحسم.. مرددا:

- « ستُعيدها من البداية.. »

بُهت (شلبي).. وهو يحاول إيجاد أي عبارة كي يقولها، أمام ذلك الجبروت:

- « لكن يا دكتور ..... »

قاطعه الدكتور (شرنوبي) مرة أخرى، بلهجة أشد حزما.. وهو يمد يده له بالرسالة، قائلا كإنهاء للموقف:

- « تفضل.. »

أمام تلك اللهجة.. والنظرات التي حملها وجه الدكتور (شرنوبي)، لم يملك (شلبي) سوى قول:

- « حاضر يا سيدى.. »

وساده الإحباط.. وهو يخرج من المكتب، ليجد الدكتور (صفوت) يقف فى أحد الأركان يقاوم ضحكاته..

- « ما زلت هنا؟.. »

(صفوت) بسخرية:

- « لم أستطع مقاومة رؤية وجهك.. وأنت تخرج من مكتبه لأول مرة.. »

تنهد (شلبي) متمتما بشرود:

- « لقد كان قاسيا.. »

وضع (صفوت) يده على كتفه؛ وهو ما زال يضحك.. مردِّدًا:

- « تلك أعراض ما بعد الصدمة.. »

وأشار للمكتب.. مردفًا بشيء من الجدية:

- « دَعك من تلك الصورة الذهنية التي كونتها عنه، إنه روتيني أكثر مما تتخيل!.. »

(شلبي) محاولا تقبل العبارة:

- « معقول!!.. »

(صفوت) بِغل.. مضيفا:

- « لن تتجاوز هذا الرجل من أول مرة؟!.. بل ليس من عاشر مرة.. »

- « لتلك الدرجة؟.. »

- « بعض الزملاء عالقون هنا منذ سنوات!.. »

تنهد (شلبي) بمزيد من الإحباط.. وسرعان ما عاد لشخصيته المرحة، متمتما:

- « عظيم.. هذا يعنى أنى قد أحصل على الدكتوراه؛ قبل سن التقاعد.. »

لم يضحك (صفوت).. بسبب ظهور (عنتر) أمامهما لاهثا؛ وهو يقول:

- « (سقراط).. »

(صفوت) بحدة:

- « ماذا به؟.. »

(عنتر):

- « سيرتكب جريمة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادية عشرة إلا ربع..

جلست (شيماء) أمام مكتبها تحاول تعويض تأخيرها.. قبل أن يدلف عليها (طارق) برفقة صديقتها (نجوى).. متسائلا:

- « لماذا تأخرتِ اليوم؟.. »

لم تُعيرهما (شيماء) الكثيـر من الاهتمام.. وهــى تتنقل بين صفحــات برنامج إكسيل، احتل شاشة كمبيوتر أمامها.. متمتمة ببساطة:

- « لم يرن المنبه.. »

كانت (شيماء) تضع طلاء شفاه أسود، جعلها غامضة بعض الشئ!.. لدرجة الخوف!..

تبادل (طارق) مع (نجوى) تلك النظرة السريعة.. قبل أن يغادرهما مرددا:

- « هناك حالة تنتظرني فى الطوارئ.. بعد إذنكما.. »

أغلقت الأخيرة باب غرفة المكتب.. وجلست أمام (شيماء) تردد:

- « تبدين مختلفة اليوم!.. »

(شيماء) دون أن تنظر إليها:

- « كيف؟.. »

هزت (نجوى) كتفيها.. محاولة البحث عن إجابة:

- « لا أعرف.. ربما ذلك الروج الأسود الذي تضعينه.. »

كادت (شيماء) تخبرها، أن أختها (سالي) هى من صمم على وضعه لها.. لكن فجأة دلفت عليهما زميلتهما (سلمى) تردد بلهجة شماتة حاولت مداراتها:

- « دكتور (مورو) يطلبك.. »

توقفت (شيماء) عن ما تفعل.. ونظرت إليها متسائلة بقلق:

- « لماذا؟.. »

ابتسمت (سلمى).. مُجيبة:

- « أعتقد أنه بسبب التأخير.. »

ضاقت عينا (شيماء).. وهي تسأل:

- « ومَنْ أخبره أنى تأخرت؟.. »

ارتبكت (سلمى) دون مبرر.. مرددة:

- « لا أعرف.. بعد إذنكما.. »

ران الصمت على المكتب لثوان.. قبل أن تتمتم (شيماء) بغضب:

- « هى من فعل ذلك!.. نذلة.. »

قالت (نجوى) محاولة تهدئتها:

- « لا تقلقي.. »

لم تُعيرها (شيماء) الاهتمام المعتاد!.. ونهضت تذهب لمقابلة دكتور (مورو) بانفعال. مُخلفة وراءها فوق المكتب تلك السلسلة التي تنتهي ببجعة..

لكنها كانت سوداء هذه المرة!..

التقطتها (نجوى) بدهشة!.. وظلت تتطلع لها، لحظة عودة (طارق) للمكتب.. وهو يردد بمرح:

- « ماذا سوف نأكل اليوم؟.. »

لكنه لم يجد (شيماء).. فبتر عبارته مردفا:

- « أين ذهبت؟.. »

(نجوى) بشرود:

- « مكتب دكتور (مورو).. »

ونهضت تُريه السلسلة مستطردة:

- « انظر.. »

تطلع (طارق) للبجعة السوداء اللامعة.. قبل أن تضيق عيناه متسائلا:

- « هدية اليوم؟.. »

- « أعتقد هذا.. »

(طارق) بسخرية:

- « يبدو أنه سوف يُحضر كل الألوان.. »

(نجوى) بنفس الشرود:

- « ألم تلاحظ شيئا؟.. »

حصلت على اهتمام (طارق).. متسائلا:

- « مثل ماذا؟.. »

(نجوى) بتفكير:

- « (شيماء) تضع طلاء شفاه أسود.. »

(طارق) بسخريته:

- « وماذا فى هذا؟.. كل الفتيات المخابيل يفعلن ذلك على سبيل التغيير.. »

(نجوى):

- « إنها تفعل ذلك لأول مرة!.. »

مط (طارق) شفتيه محاولا التفكير بجدية، لكنه فشل.. متمتما:

- « هناك أول مرة دائما لكل شيء.. »

(نجوى):

- « معك حق.. لكن ظهور تلك البجعة السوداء؟!.. مع طلاء الشفاه الذي تضعه؛ جعل تفكيري - غريزيا - يحاول الربط بين الأمرين.. »

تنهد (طارق).. يقول ببساطة:

- « دعينا نفترض ذلك.. ما النتائج التي نستطيع الحصول عليها؟.. »

(نجوى) بخوف:

- « شيء واحد فقط.. »

- « ما هو؟.. »

- « أن (شيماء) كانت تعرف ما ينتظرها اليوم فى الدُّرج؟!.. فحاولت التناغم معه شكليا؟!.. »

فكر (طارق) فى معنى العبارة.. وهو يُضيف:

- « ذلك لا يحمل سوى معنى واحد؟!.. »

ران الصمت بينهما للحظات.. قبل أن يستطرد بحذر:

- « إن (شيماء) هى التي تضع لنفسها الهدايا فى الدُّرج؟!.. »

وكان هذا مرفوضًا لعقله تماما؛ لأنه الوحيد الذي يملك من الأسباب؟!.. ما يكفي لجعل تلك النظرية محل تشكيك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10 - البجعة السوداء..

كل الأشياء لها وجه آخر لا يبدو سوى وقت الأزمات؟!.. وجه قبيح مادي؛ يعكر عليك صفو أجوائك.. ويجعلك ترى ما كنت لا تراه منذ البداية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقفت (شيماء) فى الدور الثاني أمام مصعد صغير، خاص بعاملين المستشفى، تنتظر.. حتى توقف أمامها بهدوء؛ آتيًا من الدور الأرضي.

ضغطت ذلك الزر.. انفتح الباب.. و .....

فجأة؟!.....

وجـدت أختهـا (سالي) تقف فـى قلب المصعـد.. تبتسـم!.. لـم تــدر (شيماء) ماذا تفعل، أو ماذا تقول..

كل الذي بدر منها أن قالت بارتباك:

- « ماذا تفعلين هنا؟.. »

(سالي) ببساطة:

- « لقد وعدتك بالمساعدة.. »

كاد المصعد أن يتم سحبه لأعلى.. فأسرعت (شيماء) بالقفز فيه.. وهي تردد:

- « ماذا ستفعلين؟.. »

(سالي) بثقة:

- « سأقابل دكتور (مورو). لدى عرض لن يستطيع رفضه؟.. »

اتسعت عينا (شيماء).. مرددة:

- « مجنونة.. الموضوع بسيط.. ولم يكن هناك داعٍ لكل هذا؟!.. »

وهزت رأسها مستطردة.. بخوف:

- « ستكونين سبب إنهاء خدمتي اليوم.. »

ابتسمت (سالي) قائلة بثقة:

- « وربما يحدث العكس.. »

التقت أعينهما فى صمت؛ بينما المصعد يتوقف فى الدور الـ (11)، قبل أن تهبط منه (سالي) مُردفة بثقة:

- « تناولي فنجان قهوة حتى أعود.. »

وبدأت فى الحركة دون أن تعطى لها فرصة للرد، لكن (شيماء) تذكرت أمرًا ما فجأة.. فاستوقفتها تردد:

- « دكتور (مورو) طلب مُقابلتي؟.. »

(سالي) بحسم دون أن تتوقف:

- « لكنى مَنْ سيقابله أولا.. »

أخذت (شيماء) نفسًا عميقًا؛ وهى تتأملها تبتعد.. متمتمة:

- « ربنا يستر.. »

وعاد المصعد ينغلق ...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شَعر عشوائي مُتناثر.. فستان قصير أسود ضيق.. كعب عالٍ يحمل نفس اللون!

بتلك الهيئة.. وقفت (سالي) أمام مديرة مكتب دكتور (مورو)، تطلب مقابلته.

نظرت لها الأخيرة بِغيرة واضحة.. مرددة:

- « تحت أمرك يافندم.. »

(سالي) بتعال:

- « أريد مقابلة دكتور (مورو) من فضلك.. »

- « هل هناك موعد سابق؟.. »

- « لا.. »

مديرة المكتب بلهجة إنهاء للموقف:

- « دكتور (مورو) لا يقابل أحدًا دون موعد سابق.. »

(سالي) بتحدٍّ مستفز:

- « لكنه سيقابلني.. »

المديرة باستنكار:

- « أفندم؟!!.. »

استطردت (سالي) بنفس اللهجة:

- « خاصة عندما يعرف أنى مرشدة سياحية لأحد أميرات الخليج، التي أتت لمصر تحديدا، طلبا للعلاج.. »

ورفعت حاجبيها مضيفة بأسف:

- « ترى ماذا سيكون رد فعل دكتور (مورو)؟.. عندما يتصل به السفير ويُخبره، أنك كُنتِ السبب وراء عدم دخولها المستشفى.. وضياع ذلك المبلغ الكبير عليكم.. خسارة.. بعد إذنك.. »

وبـدأت فــى الحركــة - ببطء - نحو مغـادرة المكتب.. فارتبكت المديـرة قائلة:

- « ثواني أعطيه خبرًا.. »

ونهضت سريعا؛ لتختفي برهة؛ قبل أن تعود تردد باهتمام، مُتحاشية النظر إليها:

- « تفضلي يافندم.. دكتور (مورو) فى انتظارك.. »

ابتسمت (سالي) ابتسامة بسيطة، أثارت حنق المديرة.. وهي تهمس:

- « فتاة مُطيعة.. »

احمر وجه مديرة المكتب.. وهي تغلق الباب خلفها.. قائلة بغضب:

- « حقيرة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صراخ متواصل أخذ ينبعث من تلك الغرفة.. مع ضحك هستيري.

كان المشهد هذه المرة، عبارة عن (سقراط)، يضرب شخصًا بائسًا نحيلًا على قدميه؛ بعصا غليظة، غالبا يد مكنسة!.. بعدما استطاع تقييده بإحكام فى تلك النجفة؟!..

وقف الجميع يتأمل المشهد المُثير، بينما ثيران رجال التمريض؛ لا يستطيع أحد منهم الاقتراب؟!..

بسبب أن (سقراط) كان يُهدد بأنه سيقطع الحبل، لو اقترب أحد. هذا بالتبعية سيؤدى إلى تحطيم رأس الرجل، الذي كان يضحك بهستريا وصراخ فى نفس الوقت!.. كلما تلقى ضربة جديدة؟!..

حاول (شلبي) ذلك، فاستوقفه (عنتر) قائلا:

- « لا.. »

انزعج (شلبي) من ذلك، لكنه سرعان ما أدرك؛ أبعاد ما سوف يترتب عليه تصرفه؟.. فوقف متحفزًا يتابع ما يحدث مع الجميع فى ترقب.

اقترب (صفوت) بحذر، يحاول السيطرة على الوضع.. قائلا بتوعد:

- « إذا لم تتوقف.. أنت تعرف ما ينتظرك؟!.. »

(سقراط) بجنون.. مرددا:

- « لن تستطيع.. »

وتعالت ضحكاته أكثر.. وهو يضرب ذلك البائس بشكل متلاحق، أصاب (سقراط) نفسه بالإنهاك..

مما أعطى مساحة زمنية صغيرة لدكتور (صفوت) و (عنتر) كي ينقضا عليه، فى محاولة منهما لتكبيله..

نجح ذلك.. لكن (سقراط) ترك الحبل فى آخر لحظة؛ وفشل (عنتر) فى الإمساك به.. و .....

بدأت رحلة سقوط رأس الرجل نحو الأرض بعنف..

لكن فجأة دفع (شلبي) ذلك الكرسي المُبطن نحو منطقة الأحداث.. فامتص صدمة سقوط الرجل.. وانتهى الموقف.

لحظة.. ران فيها الصمت على الجميع.. بعدها عاد (سقراط) للضحك الهستيري، بينما يجره أربعة ثيران بشرية.. ودكتور (صفوت) يصرخ:

- « غرفة الفحص.. »

مسك (شلبي) ذراعه يسأل:

- « ماذا ستفعل؟.. »

(صفوت) لاهثا باقتضاب:

- « سنمنحه بعض الهدوء.. »

وسار خلف التمريض حتى غرفة ضيقة، تم وضع (سقراط) فيها، على طاولة مستطيلة طبية؛ قبل أن يتم ربط أطرافه الأربعة بها..

دس (عنتر) شاشة قطن بين أسنان الأخير، بعدها حمل دكتور (صفوت) جهاز صدمات كهربي.. وأخذ يدفع بعض الشحنات عبر رأس (سقراط).. الذي تعالت صرخاته بشكل مُفزع.. مرددا:

- « سأنتقم منك.. »

كرر ذلك (صفوت) عدة مرات بغل واضح، قبل أن يردد بتحدٍّ:

- « وأنا أنتظر ذلك.. »

وطال وقت الصدمة هذه المرة.. وجسد (سقراط) ينتفض؛ فساد التوتر الغرفة، بينما (شلبي) يندفع.. مُنهيًا الأمر:

- « كفى.. »

ثم أطفأ الجهاز..

غاب (سقراط) عن الوعى.. وتنفس الجميع الصعداء، خاصة (عنتر).. الذي تحاشى النظر لدكتور (صفوت).. وهو يلتقط شاشة القطن من فم المريض ويبتعد.

قال (شلبي) بجرأة، بينما يتفحص الوريد العنقي لـ (سقراط):

- « كانت تلك جرعة زائدة.. »

تنهد (صفوت) مستعيدًا شخصيته العنيدة:

- « لا تقلق.. لقد تلقى أكثر من هذا سابقًا.. »

أصدر (سقراط) صوت خوار.. والتمريض يضعه على تُرولي متحرك، فى حين يقول (شلبي):

- « معقول؟!.. هذا غير طبيعي.. »

(صفوت) بعمق.. وهو يتأمل (سقراط) الذي يبتعدون به:

- « إنه كل مرة يستدعى شخصية مختلفة.. »

شرد (شلبي) يفكر.. متمتما:

- « وكل شخصية لها قوة تحمل؛ تختلف عن الشخصية الأخرى.. »

(صفوت):

- « بالضبط.. إن جسده فى كل مرة يتناغم فى وظائفه الفيسيولوجية مع الشخصية التي يستدعيها.. »

(شلبي) بحذر:

- « وكم رصدت من الشخصيات حتى الآن؟.. »

نظر له (صفوت) لحظة.. ثم قال بحسم:

- « ثلاثة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجمال - دائمًا - له هيبة..

كانت (سالي) تُدرك ذلك جيدا!.. وتُجيد استخدامه. لذا تقدمت بثبات نحو الدكتور (مورو)؛ الذي لم يستطع عدم إبداء اهتمامه.. وهو ينهض يصافحها، قائلا:

- « أهلا بك.. »

- « أهلا دكتور.. »

وجلست تضع ساقًا فوق أخرى.. قبل أن تتأمل أركان المكان مستطردة بتلقائية:

- « مكتبك لطيف.. »

ابتسم (مورو).. قائلا بفخر:

- « أحدث صيحة.. »

اكتفت (سالي) بإماءة إعجاب من رأسها.. ثم سألته:

- « هل التدخين مسموح به هنا؟.. »

(مورو) بحزم:

- « لا.. »

ثم استطرد بلين مُفاجئ سخيف:

- « لكنى لا أستطيع منعك.. »

- « أشكرك.. »

أشعلت سيجارة سريعة.. وانتظرت حتى أَنتجت أول سحابة دخان؛ قبل أن تقول:

- « لن أضيع وقتك.. »

(مورو):

- « السكرتيرة أبلغتني أنك مرشدة سياحية؟.. »

نفثت (سالي) جرعة دخان أخرى فى سماء الغرفة.. مُجيبة:

- « ليس بالضبط.. أنا متخصصة سياحة علاجية.. »

- « عظيم.. »

- « هناك إحدى أميرات الخليج، تَعاملت مع المستشفى فى السابق؛ وقد راق لها حُسن المعاملة.. وجودة الخدمة.. »

(مورو) بحماس:

- « المكان تحت أمرها.. »

صمتت (سالي) لحظة.. ثم أضافت:

- « هذا جعلها فى تلك الزيارة لمصر، تُفكر فى استكمال الأمر، لكن لها طلبًا واحدًا، بعد إذن إدارة المستشفى طبعا.. »

(مورو) بفضول:

- « ما هو؟.. »

ضاقت عينا (سالي) تُمثل التفكير بشكل مقنع؛ قبل أن تقول:

- « فى المرة السابقة، كان يرافقها موظفة تعمل هنا اسمها (شيماء)، ارتاحت معها كثيرا فى التعامل، سِمُو الأميرة تريد تلك الفتاة، أن تظل معها طيلة فترة بقائها فى المستشفى.. »

(مورو) بتفكير:

- « أي (شيماء) تقصدين؟.. المستشفى مَلِيئة بهذا الاسم!.. »

(سالي):

- « على حد علمي، أنها تعمل فى العيادات.. »

كَسا وجه (مورو) الدهشة لثانية.. فلاحظت (سالي) ذلك؛ مما دفعها لأن تستطرد بحذر:

- « هل هناك مشكلة تخص ذلك؟.. »

لم يدر (مورو) ماذا يقول؟.. هل يخبرها أنه استدعاها منذ قليل، لتوقيع جزاء عليها بسبب التأخير..

عاد يبتسم سريعا مرددا:

- « لا أبدا.. المستشفى تحت أمر سِمُو الأميرة فى أي لحظة.. »

نهضت (سالي) تصافحه قائلة بامتنان:

- « هذا ما كنت أنتظره.. »

(مورو) باهتمام:

- « متى سيكون موعد الزيارة؟.. »

- « خلال هذا الشهر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استقلت (سالي) المصعد نحو الدور الثاني، حيث تنتظرها (شيماء) فى كافيتريا المستشفى، لكن المصعد توقف فى الدور التاسع.. ودلفت إليه (سلمى) مع امرأة أخرى، قبل أن تقول بانتشاء:

- « صاحبتك يتم عصرها الآن فى مكتب دكتور (مورو).. »

موظفة تمضغ علقة بعدم اهتمام:

- « مَنْ تقصدين؟.. »

(سلمى) بشماتة واضحة:

- « (شيماء).. »

بمجرد أن تسرب الاسم لأذن (سالي)، حصلت على اهتمامها.. وألقت نظرة سريعة على بطاقة التعريف المعلقة على صدرها؛ قبل أن تُدير وجهها.. وتُنصت لبقية الحوار دون أن يبدو عليها ذلك.

الموظفة بعدم رضا:

- « لماذا تضعين تلك الفتاة فى رأسك هكذا؟.. »

(سلمى) باستنكار:

- « أنا!.. لا أبدا.. لكنها تستحق.. »

الموظفة:

- « لماذا؟.. »

(سلمى) بحقد لم تستطع مداراته:

- « تتصور نفسها أفضل منا.. »

مطت الموظفة شفتيها.. قائلة:

- « بالعكس.. أنا أجدها دائما متواضعة.. وحبيبة الجميع.. »

ربتت (سلمى) على كتفيها.. مرددة:

- « ربما معك فقط يا حبيبتي؛ لأنك لا تعملين معها فى نفس القطاع، أما نحن فتعاملنا بشكل مختلف.. »

هزت الموظفة رأسها بعدم اقتناع.. قائلة:

- « ربما.. »

هنا توقف المصعد بالدور الرابع.. وهبطت (سلمى).. فقالت الموظفة؛ وهي تُعلق المصعد:

- « أين ستكونين بعد ساعة؟.. »

(سلمى) بينما تتحرك حاملة رزمة من الأوراق فى الممر أمامها:

- « سأنهى بعض الإمضاءات.. وسأكون فى مكتبي بالدور الثاني.. »

اكتفت الموظفة بإماءة من رأسها.. وعادت تستأنف الهبوط بالمصعد حتى وصل للدور الثاني..

أسرعت بعدها تختفى فى أحد الممرات العنكبوتية للمكان، بينما (سالي) أخذت تخطو ببطء وثقة؛ حتى ظهر موظف يحمل قهوة فوق صينية.. سألته بهدوء:

- « أين أجد مكتب الأستاذة (سلمى) لو سمحت؟.. »

أشار الموظف نحو أحد الأبواب.. ثم عاد يستأنف طريقه.

انتظرت (سالي) حتى اختفى من أمامها، قبل أن تدلف لمكتب الأخيرة بجرأة؛ ترسم تلك الابتسامة الساخرة فوق شفتيها.. متمتمة:

- « غير مسموح لأحد أن يسخر من (شيماء) بتلك الطريقة.. »

وبعنف شديد أخذت تمزق كل ورقة تطولها يدها فوق المكتب.. وتسكب تلك الزجاجة من المياه - باستمتاع - على الملفات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

11 - الغموض..

لا تحاول أن تخبر أحدًا عن حُسن خلقك، مَارس هذا فى صمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلفت (شيماء) لذلك المكتب.. تردد:

- « دكتور (مورو) طلبني.. »

رفعت المديرة وجهها إليها، تتأمل بطاقة تعريف المستشفى على صدرها، قبل أن تردد:

- « هو فعلا طلب حضورك، لكنه لغى ذلك الآن!.. »

(شيماء) بحذر:

- « هل حدد موعدًا آخر؟.. »

- « لا.. »

ران الصمت.. وشردت (شيماء) تفكر؛ وهي لا تدري ماذا تفعل!.. فعادت المديرة تنظر لها مستطردة باستنكار:

- « تريدين شيئًا؟.. »

ابتسامة سريعة من (شيماء):

- « لا.. »

- « تستطيعين العودة إلى العمل.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بكاء هستيري.. وسط حالة من الفوضى، سادت مكتب (سلمى)، بينما (نجوى) تسأل بذهول:

- « مَنْ فعل هذا؟.. »

(سلمى) بانهيار:

- « لا أعرف.. »

تَدخل (طارق):

- « هل كان المكتب مغلقًا؟.. »

(سلمى):

- « أنا لم أغلقه قط من قبل!!.. »

تحرك (طارق) بالغرفة يتفحصها.. مرددا بتفكير:

- « إنه عمل تخريبي متعمد.. »

(نجوى).. وهي تحتضن (سلمى) المنهارة:

- « نعم.. يبدو هذا واضح.. »

(طارق):

- « ترى.. مَنْ يتربص بك لتلك الدرجة؟.. »

(سلمى) ببكاء:

- « لا أعرف.. لا أعرف.. »

تَدخل عامل الكافيتريا يقول بتردد:

- « لقد سألني عن المكتب امرأة منذ قليل.. »

تعلقت به العيون.. و (طارق) يسأله لاعبا دور (شارلوك هولمز):

- « امرأة تعمل هنا؟.. »

فكر العامل قليلا:

- « لا أعتقد.. »

- « كيف عرفت؟.. »

العامل بتلقائية:

- « لأنى ببساطة لم أرها فى المستشفى من قبل.. »

دلف فى تلك اللحظة مدير أمن المكان، برفقة ثلاثة من رجاله.. والذين أخذوا ينظرون للجميع تلك النظرة العميقة الواثقة. قبل أن يردد:

- « من أول شخص اكتشف الحادث؟.. »

نظرت (سلمى) لـ (نجوى) بقلق.. وهي تقول:

- « أنا.. »

صمت مدير الأمن لحظة.. ثم سأل من جديد:

- « هل هناك أوراق مهمة من الصعب تعويضها؟.. »

هزت (سلمى) رأسها تنفى.. مرددة:

- « لا.. ليس سوى بعض أذون صرف أدوية العيادات.. »

- « وأين هى.. »

أسرعت تفتح آخر درج فى مكتبها.. قائلة:

- « أحتفظ بها هنا.. ولا أعتقد أنه .....»

وبترت عبارتها عندما وجدت الدرج غارقًا بالمياه.. فاضت عيناها بالدموع مستطردة:

- « اللعنة.. »

لحظة دخول (شيماء) المكتب.. تتأمل ما يحدث وهي تقول بصدمة:

- « ما الذي حدث؟.. »

رمقتها (سلمى) بغل قائلة بانفلات:

- « لا تُمثلي التأثر.. »

لم تفهم (شيماء) مغزى العبارة!.. إلا بعدما أضافت:

- « الشماتة تملأ وجهك.. »

هنا.. ارتسمت معالم الصدمة على وجه الأخيرة.. و (نجوى) تقول باستنكار:

- « كيف تقولين هذا؟.. هل أصابك الجنون؟!.. »

(سلمى) بعنف:

- « الحقيقة.. »

ونظرت لمدير الأمن تردف بانفعال:

- « إنى أتهمها يا سيادة العميد، بأنها من دَبر ما حدث هنا فى المكتب.. »

كان مدير الأمن يعرف (شيماء) جيدا، لذا لم يبد عليه أي بوادر اقتناع.. قائلا:

- « هذا يبدو مبكرا.. ليس قبل تفريغ الكاميرات.. وفتح تحقيق شامل.. »

فاضت عينا الأخيرة بالدموع.. وهى تنسحب من الغرفة بسرعة.. و (نجوى) تلاحقها قائلة:

- « مهلا.. لن يصدقها أحد.. فالجميع يعرف أنها تغار منك.. »

(شيماء) فى بكاء:

- « لقد كنت فى مكتب دكتور (مورو).. »

ظهر (طارق):

- « لستِ فى احتياج للدفاع عن نفسك.. »

وضحك يستطرد:

- « المهم.. أخذت كم يومًا خصم.. »

ضحكت (نجوى) بافتعال.. و (شيماء) تمسح دموعها مُجيبة:

- « ولا يوم.. »

(طارق) رافعا حاجبين بدهشة اختلطت بالإعجاب:

- « كيف هذا؟!.. دكتور (مورو) لو تأخر شخصيا عن العمل.. سَيخصم من راتبه ثلاثة أيام!.. »

راقت لـ (شيماء) دعابته.. قائلة:

- « ربما لو قابلني، كان قد فعل؛ لكنى صعدت للمكتب فوجدت الموعد تم إلغاؤه.. »

(نجوى) بدهشة:

- « أغرب!.. وأغرب!.. »

ابتسم (طارق):

- « هناك لغز فى الأمر حتما سنعرفه.. »

حضر المصعد.. وهبط الثلاثة للطوارئ.. ورأس كل منهم يحمل العديد من الأسئلة، التي تحتاج إلى إجابة؟..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وقف دكتور (صفوت) و (شلبي) أمام جسد (سقراط) الغارق فى النوم، قبل أن يسأل الأخير بتركيز:

- « لماذا لم تخبرني بكل أبعاد تلك الشخصية المرضية منذ البداية؟.. »

دكتور (صفوت) بتهكم:

- « لا شيء مجانى.. »

وابتعد يُضيف:

- « أيضا كان لا بد أن ترى ذلك بنفسك. أنا قضيت ستة أشهر مع تلك الحالة.. وما زالت تُفاجئني بالجديد.. »

(شلبي) بحيرة:

- « أنا لم أقابل مثلها من قبل!.. »

مسك (صفوت) ملفًّا ضخمًا يفتحه.. مرددا بحسم:

- « ولن تقابل!.. إنها حالة غنية، لكنها خطيرة فى نفس الوقت.. »

- « كيف؟.. »

أغلق (صفوت) الملف.. مجيبًا بسخرية:

- « حياتك قد تنتهى فى لحظة أثناء جلسة استماع.. لأنك ببساطة لن تعرف الشخصية التي عليها الحالة إلا فى وقت متأخر.. »

أماء (شلبي) برأسه قائلا بتفكير:

- « لهذا كُنتم تتعمدون إحاطته دائما بحراسة مشددة.. »

- « نريد رصد سلوكياته بشكل طبيعي تجاه البيئة المحيطة.. »

انضم لهما فجأة صوت دكتور (شرنوبي) يسأل بتركيز دون مقدمات:

- « ما تصنيف الشخصية التي كان عليها هذه المرة؟.. »

تجاوز (شلبي) المفاجأة فى لحظة.. ثم أجاب:

- «الشخصية المعادية للمجتمع.. (Anti social personality) [8].. »

- « كيف عرفت؟.. »

(شلبي):

- « يميل المرضى المصابون بهذا الاضطراب السلوكي، إلى الإفراط فى استخدام القوة.. والتصرف بعدوانية شديدة، قد تدفعهم للقتل أحيانا.. »

(شرنوبي) بعدم اكتراث:

- « تلك سلوكيات تشترك فيها معظم الأمراض النفسية عادة.. »

دافع (شلبي) عن رأيه:

- « لكنها كانت واضحة جدا اليوم.. »

لم يبد على وجــه دكتـور (شرنوبي) أي رد فعل، بل عقد حاجبين.. وراح يراقب (سقراط).. ثم وضع ذلك المؤشر بيده عن رأسه..

كانت القراءة تذهب نحو أرقام غير بشرية، مما دفعه لأن يردد بعلم:

- « قوة تحمله تزداد.. هذا رائع.. الأمور تزداد تعقيدا.. »

لم يعرف أحد منهم أنه، يريد بشدة التخلص من نتائج تلك التجربة، بل لو طال الأمر التخلص من المريض نفسه؟!..

لكن هذا يبدو صعبًا الآن، بعدما عرف الجميع.. وخرجت الأمور عن السيطرة.. وصار هناك أسئلة تحتاج إلى إجابات.

ما يراه الآن هو نواة بداية التجربة فقط..

إنه يعرف ذلك جيدا.. وسبق أن عاش ذلك الكابوس من قبل..

فحتى الآن لم يقتل ذلك المسخ أحدًا.. هذا ما يجعلهم يشعرون بالشغف نحوه..

لكن قريبا ستظهر الكوارث تباعا!..

هـذا المريـض ينمـو بداخلـه وحـش صغيـر، تحـت رعايتهـم؛ قـد يلتهمهـم يوما؟!..

فغير مستبعد أن يصحو ليلا قرب الفجر، ليجد (سقراط)، يجلس بجواره على السرير، وقد نمى له تلك العضلات الوحشية وذلك الشعر.. ويستعد لافتراسه.

وهو - حتما - لن يبقى صامتا.. الأفضل التحـرك فـى أقـرب وقت، لهذا أحضر ذلك العقار؟!..

عقار تثبيطي مهمته، إما الترويض.. أو لا يتحمله قلب المريض ويموت..

هكذا ذهب بنفسه ليحضر محققًا من داخل ذلك الدرج.. وقام بتجهيزه.. عاد به وقام بتفريغه ببطء داخل وريد (سقراط).

الذي أطلق صرخة مدوية.. لم يسمعها (شرنوبي) منذ أن كان يعبث بمرضاه بالمصحات النفسية فى أوروبا..

انتهـى الحقن.. ووقف الجميـع يرقـب النتائــج، خـاصة (شلبي) الذي تساءل:

- « ماذا أعطيته؟.. »

(شرنوبي) بلهجة مخيفة، دون أن يرفع عينيه عن المريض:

- « الخلاص.. »

قالها.. وهو يرقب تلك التورمات الحمراء التي بدأت تملأ وجه وصدر (سقراط)..

(صفوت) بقلق:

- « يبدو أن هناك حساسية لذلك النوع من الدواء.. »

وأسرع يحقن المريض بالعديد من أمبولات الكورتيزون والأدرينالين ومضادات الحساسية.. حتى استقر.. وراح فى سبات عميق..

تنهد (شرنوبي) قائلا قبل أن ينصرف:

- « يجب دراسة ذلك.. »

التقت عينا (صفوت) و (شلبي) فى صمت.. قبل أن ينحني الأخير سريعا، يلتقط فارغ ذلك الأمبول، الذي استخدمه دكتور (شرنوبي)؛ محاولا معرفة اسم مادته الفعالة.

لكن الأمبول الفارغ، كان عبارة عن قطعة زجاج شفافة، دون أي معلومات..

(شلبي) بدهشة:

- « انظر.. »

التقط (صفوت) منه الأمبول.. مرددا:

- « هذا يحدث أحيانا.. »

شرد (شلبي) يفكر.. قائلا:

- « ليس فى أدوية الطب النفسي!.. »

(صفوت) دون فهم:

- « ماذا تعنى؟.. »

(شلبي) بحسم:

- « هذا عقار غير رسمي.. وأكيد مُحرم دوليا.. »

راقت الفكرة لـ (صفوت):

- « ولماذا يفعل دكتور (شرنوبي) ذلك؟.. »

- « سنعرف.. »

وأسرع يحصل على عينة من دماء (سقراط) لدراستها..

لاحقه (صفوت) يردد بقلق:

- « لو عَرف أنك فعلت ذلك، سيغضب بشدة.. »

- « ومَنْ سيخبره؟.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يوم (off)..

غرق (ماجد) فى النوم، لدرجة أنه لم يسمع تلك الطرقات المُلحة على باب شقته بالدقي.

تململ فى النوم ينظر للساعة.. فوجدها تُشير إلى الرابعة عصرا، أصابته الدهشة!.. فكيف نام كل تلك الفترة؟..

عـادت الطرقـات.. فانتبه.. وقـرر النهوض من السريـر، كان عاري الصدر.. تسلل بهدوء ينظـر من العيـن السحريـة، خوفـا من أن يكون الطـارق، أحـد الدَّيانـة الذيـن لا ينتهون.. فوجـد مَنْ تقف علـى الجـانب الآخـر هى (سالي)؟!..

فرك عينيه ليتأكد أنها هى..

عندئذ أصابه الارتباك.. ولم يدر ماذا يفعل؟.. أسرع عائدا إلى الصالة يرتدى ذلك (التي شيرت) المفتوح الصدر..

ويفتح الباب.. مُتصنعا اللا مبالاة..

(سالي) بمرح:

- « هاى.. »

ثم دلفت للشقة بجرأة.. أغلق الباب من الداخل مرددًا:

- « إيه المفاجأة دى؟.. »

(سالي) بعبث.. وهي تتأمل المكان:

- « جميلة.. صح.. »

هرش (ماجد) رأسه.. قائلا:

- « على حسب هدف الزيارة.. »

تجاهلته (سالي).. وسحبت ستارة الصالة بقوة.. مُضيفة:

- « تلك الفوضى تناسبك.. »

ضاقت عينا (ماجد) من الضوء المفاجئ الذي اقتحم المكان.. بينما يتجه لبار صغير فى ركن الصالة، يلتف حوله مرددا:

- « أنتِ مزعجة.. »

- « ذلك يروق لى!.. »

- « هل أصنع لك نسكافيه؟.. »

- « لا.. »

وتأملت الشوارع من النافذة.. مستطردة:

- « كيف تنام وسط هذا الإزعاج؟.. »

ضحك (ماجد).. مُجيبا بسخرية:

- « مِن الوجع؟.. »

ابتسمت وهى تعود للصالة.. وتجلس واضعة ساقًا فوق أخرى.. فبدت جذابة، خاصة عندما أشعلت سيجارة.. قبل أن تقول:

- « هل تتعب فى عملك لتلك الدرجة؟.. »

رمقها (ماجـد) بنظرة سريعـة.. وهـو يضع بعض المـاء فـى الغلايـة.. متسائلا:

- « هل شاهدك البواب بهذه الملابس؟.. »

ضحكت (سالي) ضحكة عابثة.. مرددة:

- « نعم.. لدرجة أن زوجته هى التي تحدثت معي.. »

هز (ماجد) رأسه فى اعتراض:

- « هل تعرفين أنك أول فتاة تدخل تلك الشقة.. »

رفعت حاجبيها فى دهشة.. متمتمة:

- « لا أصدقك.. »

دافع (ماجد) عن نفسه:

- « لا بجد.. تلك أول مرة.. »

شعرت (سالي) بصدقه.. فقررت استغلال ذلك لأقصى درجة. نهضت تجلس أمامه عبر البار.. متسائلة بعبث؛ ودخان سيجارتها يصدم وجهه:

- « وما إحساسك بالأمر؟.. »

ارتسمت علامات الامتعاض على وجه (ماجد).. وهو يسعل بشدة من جراء الدخان الذي اقتحم صدره.. مُجيبًا:

- « سيئ.. سيئ لأقصى درجة.. »

عادت (سالي) تضحك بشدة.. حاملة مج النسكافيه الذي أعده لنفسه.. متمتمة:

- « شكرا على حسن الضيافة.. »

شعر (ماجد) بالغيظ.. ثم شرع فى إعداد كوب آخر.. مرددا:

- « دائما غير متوقعة.. »

رشفت بعض النسكافيه.. مؤكدة لرأيه:

- « هذا ما يُبقيني حية.. »

أشعلت التليفزيون المُسطح دون صوت.. وانتظرته حتى انضم لها، ثم قالت بشيء من الجدية:

- « أريد استغلالك؟.. »

وضع (ماجد) الكوب أمامه، حتى يبرد قليلا.. متسائلا:

- « فى ماذا؟.. »

صمتت لحظة.. ثم أضافت:

- « هل تعرف (جو) صاحب محل (كافيين)؟.. »

- « ومَنْ لا يعرفه!.. »

تغيرت ملامحها للجدية.. وهي تقول:

- « مدين لى بمبلغ كبير من المال.. لا يريد أن يرده.. »

(ماجد) بحذر:

- « والمطلوب؟.. »

نظرت فى عينيه مباشرة.. قائلة بحسم:

- « سأعطيك نصفه، لو استطعت استرداده.. »

ارتسمت علامات السخرية على وجهه.. قائلا:

- « هذا سبب قدومك إذن؟!.. »

واقترب منها يستطرد بقسوة:

- « بل من الممكن أن يكون سبب معرفتك بي من الأساس.. »

دافعت (سالي) عن نفسها بحدة:

- « لقد ذهب تفكيرك بعيدًا جدا.. »

(ماجد):

- « أي شخص فى مكاني.. كان سيفكر هكذا.. »

- « لست شريرة لتلك الدرجة.. »

حاصرها (ماجد):

- « لماذا أنا إذن؟.. »

- « ماذا تعنى؟.. »

لوح (ماجد) بيده محاولا التوضيح:

- « تلك المهمة يصلح لها بلطجي.. ليس طبيب عظام.. »

حاولت (سالي) التهريج.. مرددة:

- « أنا لا أجد فارقًا كبيرًا بينهما!.. »

لم ينسق (ماجد) وراء دعابتها.. مكررا السؤال:

- « لماذا أنا؟.. »

نظرت لعينيه بضعف، لأول مرة يراها عليه!.. قبل أن تضيف باقتضاب:

- « أثق بك.. »

شعر (ماجد) بصدقها.. رغم هذا قاوم ذلك مرددا:

- « ليس كافيا.. »

وأشاح بوجهه عنها.. فنهضت تنصرف بعنف دون إضافة كلمة، لكن (ماجد) أسرع يقف حائلا بينها وبين الباب يسأل بتهريج:

- « هل المبلغ كبير؟.. »

وكان هذا لا يعنى سوى أمر واحد، أنه صار متورطا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12 - شروق..

كُلنا مراحل فى حياة بعض..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة مساء..

تفاصيل كثيرة أحاطت بـ (طارق).. وهو يجلس يفكر أمام تلك المنضدة متوسطة الحجم فى شقته..

ورقـة مهملـة تنتظـر أن يكتب كلماتها فـى يومياتـه المعتـادة (أوغاد فى حياتي).. فنجان قهوة جفت قهوته.. أقلام كثيرة مبعثرة.. صورة مائلة؛ قرار عدلها لم يتخذه بعد.. ساعة حائط تحتاج إلى حجر طاقة.. أباجورة تراكم عليها التراب.

كان يحاول المذاكرة، لكنه لم يستطع منع عقله من التفكير فى أحداث المستشفى اليوم.. (شيماء) و (سلمى).. البجعة السوداء.. المرأة الغامضة، التي لم يستطع مدير الأمن معرفة عنها شيء. سوى أنها مرشدة سياحية، كانت فـى مقابلـة مـع الدكتور (مـورو).. ولم تؤكد الكاميرات دخولها مكتب (سلمى)، كما ادعى عامل البوفيه.

- « لو لم تكن تلك المرأة؟.. من فعل إذن ذلك؟.. »

هذا يبدو محيرا..

ابتسم (طارق) بسخرية.. وهو يقلب تلك الورقة أمامه متمتما:

- « فلتذهب المستشفى و (سلمى) إلى أعماق الجحيم ذاته!.. ما الذي سيعود عليك من معرفة الحقيقة، سوى المزيد من المشاكل.. »

زفر بقوة.. وجاهد كي ينفض الأمر عن ذهنه.. عائدا للمذاكرة.. وتلك الصفحة التي لم يقلبها منذ ساعة..

لكن فجأة رن الهاتف، كان المُزعج (ماجد)..

- « ما رأيك أن تسهر معي الليلة؟.. »

- « أين؟.. »

- « كافيه (كافيين) بالمعادي.. »

فكر (طارق) قليلا.. ثم قال:

- « عندي امتحان بعد أسبوع.. أيضا مرهق بشدة.. »

(ماجد) بغيظ:

- « طالما أنت كذلك.. لماذا سألت عن المكان؟.. »

ابتسم (طارق):

- « ربما الفضول.. »

(ماجد):

- « الفضول؟!.. أم أن هناك شيئا ما بداخلك يدعوك للخروج؟.. »

ضحك (طارق):

- « أنت إبليس.. »

(ماجد) مُنهيًا المكالمة:

- « على العموم، إذا غيرت رأيك.. العرض سيظل ساريا حتى التاسعة مساء، بعدها سأكون قد خرجت.. »

وأغلق الخط.. قبل أن ينهض يستطرد بين جوانب عقله بغيظ.. هامسًا:

جبان!.. لماذا لم تُخبره؟..

هل تخاف أن تهتز صورتك أمامه؟..

أم تخجل مِنْ أن يعرف أنك ورطت نفسك مع امرأة - لا تثق بها - بوعد قد لا تستطيع الإيفاء به؟..

ما العمل إذن؟..

هل ستذهب - حقا - لـ (جو) هذا، تطلب منه ذلك المبلغ؟..

ماذا لو كان رد فعله عنيف؟.. وقرر إيذاءك.. »

مَنْ سَيُغيثك؟..

مَنْ؟..

تستطيع التراجع..

لا.. لن تتحمل شخصيتك أمام (سالي) ذلك..

ما العمل إذن.. وأنت لا تريد خسارة شيء؟..

لا بد أن يعرف أحد.. كي يصير بابًا خلفيًّا لإنقاذك؛ لو حدث مكروه..

لا يوجد أنسب من (طارق)، إنه الوحيد الذي تثق به..

عاد (ماجد) يمسك الهاتف فى حماس مقررا أن يتواصل معه من جديد، لكن فجأة توقف يردد:

سأكتب له رسالة طويلة، تشرح الأمر.. هذا حل مناسب..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة والنصف مساء..

انكفأ دكتور (خالد) على ذلك الميكروسكوب، يراجع تلك الشريحة، التي تحمل عينة دماء (سقراط)، فى أحد مكاتب الطب الشرعي الرسمية بالقاهرة، قبل أن يبتعد قليلا كي يُريح عينيه.. متمتما بضجر:

- « أنت مجنون!.. وأنا مغفل لأني أنصت لك!.. »

قال (شلبي) بينما هو ينظر لشريحة ميكروسكوبية أخرى:

- « أعرف أنى أخرتك قليلا.. لكن صدقني الموضوع مهم.. »

عاد (خالد) ينظر لشريحته.. متمتما:

- « لو عرف أحد بما نفعله هنا بشكل غير رسمي.. هنروح فى داهية.. »

ران بعدها الصمت لثوان بينهما؛ قبل أن يعود (خالد) مضيفا:

- « لم أقابل تلك المادة الكيميائية من قبل.. »

نظر له (شلبي) فى شك.. متسائلا:

- « هل تقول هذا لإنهاء الأمر.. أم أن ذلك رأيك حقا؟!.. »

تنهد (خالد) مجيبا:

- « هل تعرف عنى ذلك السلوك؟.. »

زفر (شلبي) بإرهاق.. قائلا:

- « والعمل؟.. أريد أن أعرف بشدة تركيب تلك المادة.. »

فكر (خالد) قليلا.. مرددا:

- « طالما أن ذلك غير متاح الآن.. أرى أن نبحث فى اتجاه آخر.. »

- « ما هو؟.. »

- « تأثيرها.. »

ضاقت عينا (شلبي) قائلا:

- « ليس لدينا كمية كافية لفعل هذا.. »

ابتسم (خالد):

- « المادة خليط من عناصر معروفة.. »

ابتسم (شلبي) بدوره.. معقبا:

- « تقصد أنك تستطيع إنتاجها؟.. »

هرش (خالد) رأسه.. مجيبا بتردد:

- « لا أعرف.. لكنى سأحاول.. »

- « متى؟.. »

- « غدا.. »

جَره (شلبي).. مرددا بحسم:

- « بل الآن.. »

(خالد) برفض:

- « مستحيل.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كورنيش النيل، وقت الغروب..

نسائم بداية شهر سبتمبر الكئيبة؛ تفرض وجودها على مطعم صغير مكشوف يطل على المياه مباشرة، هناك جلست (شروق) فى توتر تنتظر، كانت تبدو بسيطة وجذابة من خلال كل تفاصيلها.

نظارة شمس تخفى عينيها الحزينة الشاردة دائما، شعر معقوص للخلف على طريقة ذيل الحصان، مساحيق خفيفة.. أخيرا ملابس هادئة..

مر عليها أكثر من نصف ساعة دون أن تتحرك من مكانها، حتى جاءت لها تلك العاملة ترفع فنجان القهوة من أمامها.. وهي تهمس بتعاطف:

- « يبدو أنه لن يأتي.. »

نظرت لها (شروق) بضيق.. والتي فيما يبدو أنها صديقتها.. أو على الأقل هناك ألفة ما بينهما، قبل أن تقول بإنكار:

- « لا.. هو أكد لى حضوره.. »

هزت العاملة رأسها بعدم رضا، ثم انصرفت.. لحظة ظهور ذلك الشاب فى المكان. لمحته (شروق) فخفق قلبها بشدة.. ونهضت تستقبله، مرددة:

- « كل هذا التأخير؟.. »

الشاب بفتور واضح.. جالسًا:

- « آسف.. »

ران الصمت بينهما؛ وهو يتحاشى النظر إليها. انقبض قلب (شروق) متسائلة بحذر:

- « مَاذا بك؟.. تبدو مختلفًا!.. »

الشاب بحسم:

- « (شروق).. لقد ترددت كثيرا قبل قول ذلك؟!.. »

وعاد للصمت.. فاستنفرته قائلة:

- « تكلم.. »

الشاب بحسم:

- « علاقتنا لا بد أن تنتهى.. »

بُهتت الفتاة.. رغم أنها تعرضت لهذا الموقف - كثيرا - من قبل فى حياتها!.. اعتصر الألم قلبها.. وهي تحاول التماسك؛ متسائلة:

- « ما الذي حدث؟.. هل ضايقتك فى شيء؟.. »

حاول الشاب التبرير:

- « الأمر بعيد عن ذلك.. نحن مختلفون فكريًّا.. »

(شروق) بحدة:

- « وهل اكتشفت هذا الآن فجأة؟!.. »

الشاب مرتبكا:

- « ليس فجأة طبعا.. بقدر ما هو شعور، كان يتعمق داخلي كل يوم.. »

اغرورقت عينا الفتاة بالدموع.. فأخذ الشاب يتلفت حوله مرددا:

- « أرجوك.. لا أريد أن تُلفت الأنظار إلينا.. »

(شروق) ببكاء:

- « هل هذا هو كل ما يهمك؟.. نظرة الناس لك؟.. وقلبي الذي يعتصره الألم، لا يساوى عندك شيئا؟!.. »

الشاب بحسم:

- « الفراق أفضل من الندم.. »

ونهض ينصرف دون إضافة كلمة.. بينما العاملة تندفع نحو (شروق)؛ التي دخلت فى نوبة بكاء، محاولة تهدئتها:

- « ما الذي حدث؟.. »

الأخيرة بانهيار:

- « تَركني.. »

احتضنتها العاملة قائلة بتعاطف:

- « سيأتي لك نصيبك يوما.. »

(شروق) وسط دموعها:

- « إنه الرابع هذا العام؟!.. لا أعــرف ما الذي يجعلهم يتركونني فـى النهاية؟!.. لماذا لا أستمر فى علاقة واحدة؟.. »

العاملة.. مُحاولة المساعدة:

- « ربما لأنك واضحة!.. وللأسف الشباب لا يهتم إلا بالفتاة التي تتجاهله.. »

هزت (شروق) رأسها قائلة بشرود غاضب؛ كأنها تكتشف هذا الآن فقط:

- « نعم.. معك حق.. إنهم أوغاد.. »

ربتت العاملة على كتفها متمتمة:

- « بعد إذنك.. »

هنا سمعت صوت صديقتها الوحيدة (شيماء) يأتي من الخلف.. قائلة بمرح:

- « كُنت أعرف أنى سأجدك هنا.. »

نهضت (شروق) تحتضنها.. قائلة بتأثر:

- « جئتِ فى وقتك.. »

وغلبتها مشاعرها. أخذت تبكي فى حضن صديقتها المقربة بحرقة شديدة، مما جعل (شيماء) تتخلى عن لهجة المرح.. قائلة بحذر:

- « لقد مررت بيوم سيئ.. ولن أتحمل المزيد.. ماذا بك؟.. »

جلست (شروق) تروى لها ما حدث، قبل أن تُعقب (شيماء) على كلامها؛ قائلة بصراحة:

- « ما الجديد؟.. تاريخك حافل بتلك العلاقات المُحطمة.. »

واعتدلت تستطرد بعمق:

- « وقد حان الوقت، لأن تواجهي الحقيقة؟.. »

(شروق) بصدمة:

- « أية حقيقة؟.. »

- « أن كل هذا سراب، أنت أضعف مِنْ أن لا تقاوميه!.. والسبب أنك فتحتِ باب مشاعرك مُبكرا على مصراعيه، فصار قلبك مباحًا.. »

(شروق) بعذاب:

- « هل البحث عن الحب صار خطيئة؟.. »

- « لا.. لكن استسهال الدخول فى علاقة سريعة؛ لإحداث التوازن المطلوب!.. يشبه تماما جرعة المخدرات، التي عندما يذهب تأثيرها، تبقى الحقيقة.. »

(شروق) بمزيد من العذاب:

- « لو ابتعدت عن ممارسة تلك المشاعر سوف أموت.. »

أخذت (شيماء) نفسًا عميقًا.. ثم قالت:

- « أعرف.. أنك اخترتِ تلك الحالة المؤقتة كي تبقى حية!.. على أمل أن تدوم لك علاقة حقيقية يومًا، لكن مع مرور الوقت أصبحتِ تبنين مشاعرك الجديدة، على أنقاض مشاعرك القديمة!.. وأنت تعرفين - يقينا بشكل مُسبق - أن كل مَنْ سيدخل عالمك سيرحل فى وقت ما؟!.. صِرت تنتظرين ذلك؛ حتى قبل أن تبدأ العلاقة!.. فكم تكرر هذا!.. وسيظل!.. طالما تُصرين على البقاء فى تلك المنطقة المائعة أمام مشاعرك.. »

بَكت (شروق) بلوعة كما لم تفعل من قبل.. متمتمة:

- « والحل؟!.. أنا لا أجيد التفكير فى النهايات.. أنا أضعف من هذا.. »

(شيماء) بتعاطف:

- « تلك مشكلة أخرى. أنتِ كل ما يهمك؛ هو البقاء فى حالة حب مستمرة، مهما كان الثمن!.. »

- « والحل؟.. »

- « لا بد من الابتعاد عن ممارسة ذلك لفترة كافية؛ حتى تشفى مشاعرك.. وتستطيعين تحديد ماذا تريدين بالضبط؟.. »

(شروق) باستسلام:

- « أحتاج للمساعدة.. »

وضعت (شيماء) يدها فوق أصابعها.. متمتمة بدفء:

- « لن أتركك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13 - القاتل الصامت..

الكراهية مثل الحب تماما؛ تعمى عن رؤية الحقيقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كافيه (كافيين)..

التاسعة والنصف مساء..

بدت الأجواء هادئة اليوم، لم يكن يسود المكان ذلك الصخب المُعتاد.. وهناك فى ذلك الركن المُحبب لمستر (جو) - مَالك المكان - جلس الأخير يراقب كل شيء كعادته.. ومن حوله انتشر بعض الرجال على مسافات مُتباينة، فى مشهد يليق بزعيم (مافيا)، ليس صاحب كافيه!..

اقتـرب منه رجـل متأنـق بشكل جيـد.. يقدم ملفًّا ورقيًّا صغيـرًا.. متمتما بجمود:

- « ما طلبته أمس مستر (جو).. »

نظر له الأخير بعدم رضا.. قبل أن يضع السيجار من يده؛ ويفتح الملف يتطلع لمحتوياته بشكل سريع.. بعدها أشار له بالانصراف دون إضافة كلمة.

كان الأخير مُعتاد على ذلك السلوك، كمناخ للعمل.. لذا ابتعد بهدوء، يحمل ملامح جامدة.

قبل أن يُشير (جو) لشخص آخر، بدا أنه ذراعه اليمنى..

جلس الرجل.. يستمع له يقول:

- « لم تستمر (سالي) مع أحد كل تلك المدة، مثلما فعلت معه.. »

وأعطاه صورة لـ (ماجد).. أماء الرجل برأسه فى تفهم؛ متمتما:

- « أعرف ذلك.. »

عاد (جو) يضع السيجار فى فمه.. والرجل يستطرد متسائلا:

- « ما مصدر القلق؟.. »

(جو) بعد لحظة تفكير:

- « إنها تعرف أسرارنا.. »

ابتسم الرجل.. وهز رأسه برفض مستنكرا:

- « لا أعتقد أنها بهذا الغباء!.. »

(جو):

- « بل هى مُنفلتة.. وتستطيع فعل أي شيء.. »

استمر الرجل يبتسم، محـاولا استيعاب منطق تفكيـره.. قبل أن يسأل بعدم اقتناع:

- « أوامرك مستر (جو).. »

الأخير بحسم:

- « (سالي) تحتاج إلى إجازة.. حتى تنسى ذلك، إنها لم تقم بأي نشاط منذ العملية الأخيرة.. »

تنحنح الرجل قائلا:

- « هى لم ترفض العمل.. »

نظر له (جو).. مرددا:

- « ماذا إذن؟.. »

الرجل بحسم:

- « تريد بقية أتعاب العملية الأخيرة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(خالد) من جديد أمام ذلك الميكروسكوب، يراجع تلك الشريحة؛ قبل أن يقول بإرهاق شديد، شمل كل جسده:

- « انظر.. نفس التطابق.. »

(شلبي) بحماس.. وهو ينظر خلفه:

- « أنت عبقري يا صديقي.. لقد صنعت نفس المادة.. »

تحرك (خالد) يسحب بسرنجة ضخمة، ذلك السائل الشفاف من أنبوبة اختبار، قبل أن يضعه فى زجاجة مُحكمة الغلق.. ويعطيها له قائلا بجدية شملها القلق:

- « لا أعرف ماذا صنعنا؟.. أو ما تأثير تلك المادة على الجسم؟.. لذا أرجو أن تكون على دراية بما سوف تفعله بها.. »

(شلبي) بجدية مقابلة، نادرا ما تصيبه:

- « لا تقلق صديقي.. لقد قمت بدورك على أكمل وجه.. »

وأخذ منه الزجاجة.. وانصرف بخطوات سريعة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لسعة برد مُحتملة ظهرت فجأة.. وشعر بها (طارق)؛ بينما هو يقف فى بلكونة شقته يتطلع للشارع.. ويرتاح قليلا من مذاكرة ذلك الكتاب اللعين الذي أصابه بالحول.

لم يعرف لماذا تذكر أمه والبلد فى هذه اللحظة، علها تلك النسائم الباردة!.. أو إحساس المذاكرة؛ التي كان يفعلها دائما بغرفته!.. أو حتى الشعور بالجوع الشديد الذي يشعر به الآن؟!..

ابتسم بسخرية.. ونظر لعربة (عظمة) التي كانت ما زالت تعمل؛ قبل أن يحسم الأمر بين جوانب عقله؛ متمتما:

- « يبدو أنه لا مفر من ذلك؟!.. »

وارتدى ملابسه.. وهبط سريعا..

استقبله (عظمة) بود:

- « مساء الخير يا دكتور.. »

جلس (طارق) يقول بإرهاق:

- « ماذا بقى لديك؟.. »

(عظمة) بحماس:

- « كل شيء.. »

(طارق):

- « سأكتفى بسندويتشات الكبدة.. »

(عظمة).. وهو يبدأ العمل:

- « إنها المُفضلة لديك.. »

وضحك ببساطة.. وهو يشرع فى تجهيزها..

لمح (طارق) الذي جلس صامتا ينتظر الطعام بعيون شاردة.. فسأل بحذر:

- « ماذا بك يا دكتور؟.. »

انتبه (طارق):

- « لا شيء.. »

ومط شفتيه.. مردفا:

- « ما الذي جعلك تسأل؟.. »

(عظمة) بإحراج:

- « يعنى.. تبدو شاردا.. مُش عادتك.. »

ابتسم (طارق).. محاولا البحث عن إجابه، إنه فعلا يميل للهدوء والصمت منذ الصباح..

- « إرهاق العمل والمذاكرة ليس أكثر.. »

تصاعدت الرائحة.. و (عظمة) يقول:

- « الحمد لله.. »

وراح يضع تلك التوابل.. مستطردا:

- « ثواني.. والأكل يكون جاهزًا.. »

ابتسم (طارق):

- « خذ راحتك.. »

انضم لهم (أشرف) فلاتر.. يتمتم بلهفة:

- « اعمل حسابي فى خمس سندويتشات.. »

ودلف يجلس بجوار (طارق).. و (عظمة) يردد:

- « أهلا بالصحبة الحلوة.. »

ابتسم (طارق).. وهو يصافحه متسائلا:

- « ما الذي أتى بك؟.. »

(أشرف) بتهريج:

- « الرائحة.. »

وتشارك الثلاثة فى الضحك بصوت عالٍ..

بعدها جاء الطعام.. وانتهى فجأة..

صافحهم (طارق).. وأخذ طريق العودة إلى شقته. كان يريد النوم بهدوء مبكرا، بعدما قرر أن يقوم بزيارة سريعة للبلدة غدا..

شعر فجأة أنه يريد ذلك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلفت (سالي) بصحبة (ماجد) لكافيه (كافيين).. قبل أن يقترب منها ذلك الرجل المتأنق يقول بهدوء:

- « مستر (جو) يريد رؤيتك.. »

ارتسمت علامات السخرية على وجه (سالي) متمتمة.. وهي تتطلع له عن بُعد:

- « تحت أمره.. »

وسارت بصحبة (ماجد) نحوه؛ فاستوقفها الرجل يقول بحسم:

- « بمفردك.. »

نظرت (سالي) لـ (ماجد)؛ قبل أن تقول للرجل بلهجة تحدٍّ:

- « أنا من يضع القواعد هنا.. »

الرجل مُحذرًا:

- « هذا ليس جيدًا.. »

(سالي):

- « لن أقابله بدون (ماجد).. »

تبادل الرجل والأخير نظرة تحدٍّ واضحة؛ قبل أن تستطرد (سالي):

- « هل يبدو هذا صعب الفهم لتلك الدرجة؟.. »

أماء الرجل برأسه.. ثم انصرف بغيظ..

(ماجد) متسائلا:

- « ماذا يفعل؟.. »

(سالي) وهى تُشعل سيجارة:

- « يستأذن سيده.. »

وبالفعل كان الرجل ينحني على مستر (جو)، يهمس فى أذنه بعبارة ما.. قبل أن تتغير ملامح الأخير للغضب.. مرددا:

- « ليكن.. »

نفثت (سالي) دخان سيجارتها باستمتاع.. قائلة لـ (ماجد):

- « استعد.. »

عاد لهما الرجل يردد بجمود:

- « مستر (جو) فى انتظاركما.. »

نفثت (سالي) دخان سيجارتها فى وجهه.. وهي تتحرك قائلة بثقة:

- « أعرف.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (شلبي) مع (صفوت) يتأمل تلك الزجاجة، التي بها دواء دكتور (شرنوبي) الغامض..

الأخير بقلق يحاول مداراته:

- « ما الخطوة التالية؟.. »

(شلبي) بشرود:

- « تجربته.. »

(صفوت) برفض:

- « لن أسمح لك بأن ..... »

قاطعه (شلبي).. قائلا بحسم:

- « حتما لن يكون ذلك على البشر.. اطمئن.. »

أخذ (صفوت) نفسًا عميقًا.. ثم قال بتفكير:

- « آسف.. جال بذهني للحظة؛ أنك ستكون مثله.. »

(شلبي):

- « هل عندك فئران تجارب؟.. »

- « طبعا.. »

ثم أسرع بإحضار قفص صغير به بعض الفئران البيضاء من غرفة جانبية. فتح (شلبي) القفص.. وقام بالتقاط فأر بائس؛ حقنه بجرعة صغيرة من تلك المادة؟!.. ظل الفأر يتشنج لنصف دقيقة بعدها.. قبل أن يسكن جسده تماما.

(صفوت):

- « نفس ما حدث مع (سقراط) بالضبط.. »

التقط (شلبي) الفأر مرة أخرى يفحصه.. متمتما:

- « ما زال حيا.. »

مسك (شلبي) فأرًا آخر.. وقام بحقنه بجرعة مضاعفة؟.. وهكذا فعل مع خمسة فئران آخرين بجرعات متزايدة..

عقد (صفوت) ما بين حاجبيه.. متسائلا:

- « ما الذي تفكر فيه؟.. »

(شلبي) بشرود المخابيل:

- « سنعرف كل شيء قريبا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست (سالي) تضع ساقًا فوق أخرى أمام مستر (جو)؛ الذي رمقها فى استياء؛ مرددا بجمود:

- « تغيرتِ كثيرا!.. »

نفثت دخان سيجارتها متمتمة بثقة:

- « الفضل يعود لك.. »

ابتسم فى سخرية.. متسائلا:

- « مَنْ ذلك الطالب الذي معك؟.. »

استفزت العبارة (ماجد).. فتدخل قائلا:

- « يبدو أنك تسعى للمشاكل.. »

كان (ماجد) يشعر بالقلق الشديد؛ ولا يعرف حقا من أين استمد تلك القوة؛ التي يتحدث بها الآن؟!.. عله وجود (سالي).. أو روح المغامرة؛ التي قد تقوده لمشاكل هو فى غنى عنها..

أخذ (جو) نفسًا عميقًا من سيجاره؛ قبل أن ينظر للأخيرة متسائلا باقتضاب:

- « ما الذي تريدينه؟.. »

تدخل (ماجد) مرة أخرى:

- « تستطيع الحديث معي.. »

ابتسمت (سالي).. و (جو) يُضيف بسخرية واضحة:

- « لست الرجل المناسب لتلك المهمة.. »

تجاهل (ماجد) العبارة.. قائلا:

- « بلغني أنك تدين لها ببعض المال.. »

ضاقت عينا (جو):

- « هل وعدتك بجزء منه.. »

(سالي) بتنمر:

- « أعتقد أن هذا ليس من شأنك.. »

(جو) باستمتاع:

- « هل أخبرتك عن مصدر ذلك المال؟!.. أم أنك لا تعرف؟!.. »

ران الصمت بينهم.. والأخيـر يتطلع لوجـه (سالي) الذي أصابـه بعض الارتباك، فأضاف (جو) ضاحكا:

- « يبدو أنك لا تعرف.. »

تدخلت (سالي) قائلة:

- « لا تغير دفة الحديث.. »

(جو) بحسم.. وهو ينظر لـ (ماجد):

- « تجارة العملة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14 - الصغير..

الجذور..

نُولد وبداخلنا استعداد مُسبق لنمو كل أنواع الصفات، البيئة الحاضنة للشخص، هى التي تجعل ما يُستهلك ينمو.. وما يُترك يَضمُر. لتصبح شخصيتنا النهائية، عبارة عن تلك الحزمة من الصفات، التي استطاعت الصمود.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (طارق) - كالعادة - يحتاج لبعض الهدوء.. الصمت.. رؤية الفراغ.. اللون الأخضر، لذا كان عليه العودة إلى حيث مسقط رأسه، تلك البلدة الصغيرة التي تريد أن تفقد هويتها.. وتسعى بإصرار كي تصبح مدينة.

ذلك صار فصلًا حتميًّا - نوعـا ما - فـى روايات (الطـارق)؛ كما يعـرف البعض منكم، لكشف جانب جديد من شخصية (طارق) أمامك.. ولالتقاط بعض الأنفاس؛ بعيدا عن أحداث الكتاب.

أيضا تحولت تلك الزيارة؛ لاعتراف غير مباشر، بأن الأمور دائما ما تنتهى حيث بدأت!.. وأنك مهما سافرت للبحث عن نفسك.. محاولا الإجابة عن تلك الأسئلة التي تزاحم رأسك، ستجد نفسك فى النهاية تعود لمكان البداية!.. حيث الجذور.

هبط (طارق) من القطار.. وأخذ يسير بجوار ذلك الطريق المرصوف حديثا، قاصدًا المنزل القريب، كان يُلقى التحية على كل مَن يقابله.. ويتأمل تلك الأعمدة الخرسانية الجديدة، التي تظهر فى كل زيارة، لتعلن تآكل بقعة زراعية أخرى.

كم يحب تلك البلدة.. ويكرهها فى ذات الوقت؟!..

لقد حملت له القسوة والحلم معا.. فهنا تربى.. وهنا أيضا تم قهره!..

كان كل ذنبه منذ الصغر أنه من أسرة بسيطة، كأن هذا لا بد أن يوصمه.. ويجعله راضيا بالمتاح!..

فمَنْ هو كي يكون له طموح!.. لا بد أن يبقى في الظل.. مهما حمل عقله من تميز!.. هنا صارت كل مشاكل (طارق) أن يراه أحد، أن يشعر بوجوده كطفل، يشجعه مَنْ حوله؛ ويدفعه نحو المستقبل العادي.

وعندما تأخر هذا - كثيرا - دفعه ذلك إلى العنف المُبكر..

أصبح مشاغبًا.. صعب الترويض.. لا يُنصت للنصائح!.. بل كان على النقيض، يفعل عكسها..

يذكر جيدا تلك الأيام التي توفى فيها والده..

يذكرها جيدا ...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صوت عالٍ..

فجأة.. استيقظ الصغير (طارق) يفرك عينيه.. ويتأمل العائلة المُجتمعة فى توجس، من تلك الزاوية فى الدار؛ دون أن يراه أحد.

عَرف من تواجدهم أن هناك أمرًا ما، فالعائلة لا تجتمع سوى فى المصائب فقط أو الأفراح، إنهم سيقررون شيئًا.

شاهد عمه الوغد (سليم) ينادى عليه، تحرك (طارق) نحوهم ببطء، ساد الصمت أكثر.. والجميع ينظر إليه، حتى أمه المتشحة بالسواد تسمرت عيناها عليه.

- « سينتهى تعليمك الآن، لقد أخذت الإعدادية بنجاح، وستذهب للأرض كي تعمل، أنت الآن أصبحت رجل البيت بعد وفاة والدك.. وأمك لا تقوى على العمل.. »

كان (طارق) يكره قسوته.. ويكره ابنه الغبي (فارس)..

قال بعناد:

- « لا.. سأكمل تعليمي حتى كلية الطب.. »

ضحك (سليم) لتبدو أسنانه الصفراء.. قبل أن يردد:

- « ومن سيصرف عليك كل هذه السنوات؟.. »

نظر (طارق) لأمة يستجير بها.. والتي أشاحت بوجهها للأرض فى عذاب.. مما دفعه لأن يقول بحدة:

- « مِن نصيب أبى فى الأرض.. »

العم فى تحدٍّ:

- « أبوك باع غالبيتها لى منذ زمن بعيد.. »

- « كذاب.. »

صفعه (سليم) على وجهه.. فتراجع (طارق) لِلخلف دون بكاء!..

لم تتحمل الأم ذلك.. ونهضت تقول بقوة فجأة تملكتها:

- « ليس هذا من حقك.. »

تدخلت العمة الصفراء (سنية).. تقول:

- « ابنك قليل التربية.. ويحتاج لرجل كي يملأ عينه.. »

احتضنت الأم ابنها.. ونظرت لوجوههم جميعا بتحدٍّ قائلة:

- « (طارق) سيكمل تعليمه مهما كلفني الأمر.. »

(سليم) بانفعال:

- « أنت بتتحديني.. »

تجاهلته.. وأشاحت بوجهها متمتمة:

- « لو سمحتم أريد أن أنام.. »

ربتت (دولت) زوجة (سليم) على كتفها قائلة:

- « اعقلي.. الزمن لا يرحم.. »

استمرت الأم على صمتها.. فنهض الجميع فى غل واضح، يتبادلون النظرات.. و (سليم) يضيف بجبروت:

- « الأيام بيننا.. »

احتضنت الأم ابنها الصغير أكثر.. وهي تُسرع فى غلق الباب خلفهم، بعدها نظرت لـ (طارق) تضيف بعزيمة وسط دموعها:

- « لا تخف.. لن أسمح لأحد بأن يقترب منك.. »

- « والأرض.. »

- « سنحصل عليها يوما.. »

هكذا بدأ (طارق) مبكرا، رحلة التلوث بمشاعر الظلم والقهر والشعور بالضعف..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابتسم (طارق) عائدًا للواقع، بعدما وجد نفسه فجأة يقف فى صحن الدار.. ويسمع تلك الصرخة تأتى من زريبة المواشي..

كان هناك جَمع واقف، يراقب ما يحدث باهتمام دون تدخل.. مكون مـن (سعدية) الأخت الصغيرة لـ (طارق) قليلة الحظ.. والصغير (عمر) [9] لِمن

يذكره منكم، ابن (ناهد) الأخت الكبيرة.. و (عبد الباسط) جارهم..

دون مقدمات سأل (طارق):

- « فيه إيه؟.. »

فرحت (سعدية) بحضوره متمتمة:

- « حمدا لله على السلامة يا دكتور.. »

بينما (عمر) يُجيب على سؤاله بإثارة:

- « ست الحاجة تضرب (عثمان).. »

فجأة.. ظهر ذلك الأخير يهرول، خارجا من الزريبة.. يحتمى خلف (طارق)، والأم تطارده بسباطة بلح جافة..

لم يُوقف الأم حضور (طارق).. بل استمرت بمطاردة الرجل مرددة:

- « مائة مرة قلت لك أن لا تفعل هذا.. آخر يوم لك هنا.. »

- « يا ست الحاجة لم يكن قصدي.. »

وفجأة نزلت تلك السُباطة على كتف (طارق)، الذي احتضن أمه.. وهو يضحك قائلا:

- « اذهب الآن يا (عثمان).. »

وفى الحقيقة لم يكن الأخير فى احتياج للنصيحة، فبمجرد أن حدث هذا.. حتى أسرع يهرول نحو الباب، حتى اختفى من أمامهم.. بينما الأم تهتف:

- « اتركني.. »

لم يستجب لها (طارق).. وظل يضحك حتى خارت قوة الأم بين ذراعيه.. وهدأ الموقف..

تركها تعدل طرحتها السوداء.. وهي تردد:

- « أنت من نَجَدَه.. »

(طارق) بمرح:

- « ماذا فعل؟.. »

فجأة نظرت له الأم بحدة.. كأنها تذكرت أمرًا ما، بعدها ضربته على كتفه.. مرددة بعتاب:

- « كيف تغيب عنى كل تلك المدة، الآن فقط تذكرت أن لك أمًّا؟.. »

لم يتوقـف ضحــك (طــارق).. وهو يتراجــع للخلف أمامهـا.. متمتمـا بسخريـة:

- « ليتنى لم أجعل (عثمان) يهرب.. »

ضحكت (سعديـة) و (عمر) و (عبد الباسط).. فتـوقفت الأم تنظر لهم بدهشة، قائلة بنفس الحدة:

- « لماذا تضحكون.. هل أنا مجنونة؟.. »

أضاف (عبد الباسط) وهو ينصرف:

- « العفو يا ست الحاجة.. »

والتفت لـ (طارق) يستطرد:

- « حمدًا لله على السلامة يا دكتور.. السلام عليكم.. »

انتظرت الأم حتى غادر.. ثم قالت لـ (سعدية) بقوة:

- « امشى انجري.. حضري الغداء.. »

- « حاضر يا أمي.. »

ثم قالت للصغير (عمر):

- « وأنت روح ذاكر.. »

- « أنا فى الإجازة يا تيتة.. الدراسة لم تبدأ بعد.. »

ضحك (طارق).. وهي تردف بغضب:

- « مائة مرة طلبت منك ألَّا تناديني بتيتة.. اختفِ من قدامى.. »

ذهب (عمر) يلعب فى الخارج.. وجلست الأم فوق كنبة كبيرة. لحق بها (طارق) يقول:

- « لن يتغير طبعك أبدا.. »

الأم:

- « لا يعجبني الحال المائل.. »

(طارق) باستدراج:

- « لم تُخبريني.. ماذا فعل (عثمان) هذه المرة؟.. »

ذمت شفتيها باعتراض.. ثم قالت:

- « كان يحلب الجاموسة.. »

- « وماذا فى هذا؟.. »

الأم بمزيد من الاعتراض:

- « أولا تلك مهمة النساء، ثانيا الجاموسة قطعت اللبن منذ أن بدأ يفعل هذا.. »

عاد (طارق) للضحك.. قائلا:

- « كد يبقى عندك حق.. »

وأخذ نفسًا عميقًا.. وهو ينهض متجها نحو غرفته، لينعم ببعض الهدوء.. وذكرياته القديمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظ (طارق) قبل المغرب.. فتح تلك النافذة، وأخذ يتأمل معالم البلدة الهادئة.. مسحت عيناه كل شيء سريعا..

حتى توقف عند علم مدرسته الابتدائية القديمة. والتي لم يقض بها سوى عام واحد فقط بسبب شقاوته.

يذكر كيف تم نفيه لمدرسة أخرى بعيدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان (طارق) يشعر بالغضب، لدرجة العزلة، فلم يعد مهما للآخرين.. أيان كانت صفتهم، خاصة زملاءه.. كان يتركهم ويجلس بعيدًا!

تمر الأيام.. وتتصاعد التراكمات بداخله، حتى بدأ يمارس العنف دون أن يدري!.. ورويدا.. رويدا.. صار مدمرا..

لم يعد له رابط؟!.. يضرب الجرس وقتما يُريد!.. يطلب من المُدرسة الخروج من أجل أن يشرب.. ثم يذهب بتؤدة لضرب الجرس!

يَتم عقابه.. لكن لا يُردعه هذا!

يعرفون أنه مَنْ فعل هذا، فلا يُسمح له بالخروج أثناء الحصص لتجنب الأمر.. فيقوم (طارق) بالاتفاق مع صديق - يتيم - له من خارج المدرسة، أن يقفز عبر السور ويضرب الجرس!.. قبل موعده كي ينصرف مبكرا.

تنظر الأبله (أمـل) فى ساعتها؟!.. ثم إلى مقعده لتتأكد أنه هنا.. يبتسم (طارق).. فى الوقت الذي يدلف فيه فراش المدرسة لاهثا للفصل..

فتقول أبله (أمل) بحسم:

- « ليس هو.. »

الفراش فى شك:

- « متأكدة؟.. »

المُدرسة:

- « نعم.. إنه لم يغادر مقعده منذ بدأت الحصة.. »

الرجل بحيرة:

- « مَنْ فعل هذا إذن؟.. »

ثم خرج يجر أذيال الهزيمة.

هنا.. قرر الناظر تعليق الجرس لمسافة عالية كافية كي لا يطوله الأولاد، بدا هذا حلًّا عمليًّا وقتها.

لكنه لم يُوقف (طارق)؟.. الذي استطاع الاتفاق مع نفس الصديق، لقذفه بالزلط عن بعد كنوع من الألعاب الأوليمبية!.. و ...

نجح الأمر..

ورن جرس الحصة الأخير قبل موعده بربع ساعة..

كاد الناظر أن يُصاب بالجنون؛ والذي لم ينقذه سوى أن (طارق) قد مل الأمر.. وتحول لنشاط آخر؟!..

الزهور؟!.. صار يقطعها.. هى وكل النباتات!..

من جديد تم ضرب (طارق) بشدة، لكنه قط لم يتوقف؟!.. جَلب قطع الفحم.. وأخذ يلوث كل الحوائط؛ حتى أفسد غالبيتها..

قام بإسقاط تكعيبة المدرسة من خلال العبث فى جذورها كل يوم، حتى حانت لحظة الانهيار الأخيرة.. يا له من مشهد رائع!

لم يكن هناك دليل على تورط (طارق) بالأمر، هذا ما جعله ينجو بفعلته.. لكنه رغم ذلك، ظل فى دائرة الاشتباه والمراقبة؛ حتى جاء موعد تنفيذ العملية الكبرى؟!

تربص الصغير (طارق) لحين عودة كل الأولاد للفصول بعد الفسحة، ثم أحضر قطعة كبيرة من الطين، سد بها صرف مياه حوض الشرب الرئيسي!

بعدها.. قام بفتح (12) حنفية مياه على آخرها..

تمر اللحظات بطيئة.. وتتصاعد الإثارة.. وتتصاعد المياه فى الحوض حتى الحافة و....

أخيرا لحظة الفيضان الرائعة!..

الحوش يغرق الآن..

انتظر (طارق) ثواني يستمتع بالأمر.. ثم هرول عائدًا للفصل، استقبلته المُدرسة بشك متسائلة:

- « أين كنت؟.. »

(طارق) بشحوب:

- « بَشرب يا أبله.. »

- « كل زملائك حضروا قبل 5 دقائق.. »

- « آسف.. »

تأملت المُدرسة مريلته، التي غرق نصفها بالمياه.. قائلة:

- « والذي يشرب.. يُبلل نفسه هكذا؟.. »

لم ينتبه (طارق) لذلك سوى الآن فقط، فكل ملابسه فعلا غارقة بالمياه..

- « الحوض عالٍ.. »

هنا فجأة.. أتى ذلك الطَرق العنيف على باب الفصل..

- « ادخل.. »

دلف الفراش.. ومُدرس الألعاب إياه.. بعض المدرسين.. ثم الناظر..

الفراش بعنف:

- « هو الولد ده.. »

وأشار نحو (طارق) يستطرد بغيظ:

- « لقد رأيته بعيني هذه المرة.. »

المُدرسة بقلق:

- « ماذا فعل؟.. »

تجاهل الفراش الإجابة.. والناظر الذي كاد أن يصاب بذبحة صدرية من أفعال (طارق)، يقول:

- « أنت مرة أخرى.. قيام.. »

وقف (طارق) يردد بخوف:

- « مش أنا.. مش أنا.. »

تأمل الناظر مريلته التي أغرقتها المياه.. مرددا:

- « مَنْ الذي أغرق ملابسك هكذا إذن.. »

تدخلت المُدرسة تحاول إنقاذه.. قائلة:

- « يقول إنه كان يشرب.. »

هرش الناظر صلعته.. مردفا بحدة:

- « الأستاذ غرق الحوش.. »

- « كيف؟.. »

- « سد صرف الحوض الرئيسي بالطين.. وفتح الحنفيات.. »

تمتم زميل (طارق) المجاور بإعجاب:

- « يا ابن اللعيبة.. »

الناظر بعنف:

- « اخرس.. »

صمت الطالب، بينما أضاف الناظر محاولا السيطرة على أعصابه:

- « لم أعد أدرى حقا، ماذا أفعل معك؟.. غدا لا تدخل المدرسة؛ إلا ومعك ولى أمرك.. مفهوم.. »

عـاد (طـارق) للمنزل عـادى.. ولم يُخبـر أحـدًا بما حـدث!.. ورغم تحذير الجميع له بأن يغيب بقية الأسبوع على الأقل فإنه.. ولسبب ما سيظل غامضا لعلماء الطب النفسي، حضر فى اليوم التالي، دون أن يهتز له رمش!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طابور الصباح..

الأرض المُبللة..

الإذاعة..

تمارين الصباح..

تحية العلم..

ثم أخيرا الفقرة التي ينتظرها البعض؟!.. أخذ الناظر الميكروفون.. يردد بحزم:

- « الطالب (طارق .... عبد الملك).. أولى أول.. »

ساد المدرسة السكون المطلق، لتنشق الأرض عن طفل صغير، يرتدى مريلة صفراء، يقطع الحوش طوليا حتى يصل للناظر..

- « أين ولى أمرك.. »

يصمت (طارق).. فيكشر الناظر عن أنيابه؛ قبل أن يقوم بشرح جرائمه عبر الميكروفون، أمام هيئة المُحلفين من طلبة ومدرسين وبيوت مجاورة، حتى ختم ذلك مردفا:

- « لهذا سيتلقى عقابه الآن أمامكم.. ليصير عبرة لغيره.. »

- « افتح يدك.. »

تنهال عصا ضخمة على كف (طارق) الصغيرة..

- « يدك الثانية.. »

ضربة أخرى أشد قسوة.. ترتعش يد (طارق) من عنف ما تلقى؛ لدرجة أنه لم يستطع رفع يده مجددا..

الناظر يصرخ من جديد:

- « افتح يدك.. »

لم ينصع له (طارق)..

- « قلت لك افتح يدك.. »

يتراجع (طارق) للخلف.. والضربات تنهال على جسده.. الكتف.. الظهر.. القدم!.. لدرجة أن إحدى المدرسات تدخلت لمنعه قائلة:

- « كفى.. كفى.. »

انتبه الناظر - أخيرا - لما يفعل.. فتوقف!.. الغريب أن (طارق) - رغم ألمه - لم يبك!.. والجميع يتأمله فى تعاطف..

عاد (طارق) للطابور.. فهمس له أحد زملائه:

- « قلت لك أن تغيب.. ده ناظر مفترى.. »

انحنى (طارق) يلتقط حقيبته من على الأرض.. ووجهه يحمل عذابًا نفسيًّا فوق احتماله..

منه إلى الشارع..

منه إلى المنزل..

منه إلى السرير..

ليصاب بحمى طيلة أسبوع، سببها فيروس الإنفلونزا.. الذي استغل - طبعا - ضعف مناعته؛ كنتيجة سوء حالته النفسية!.. ليحتل جسده الضعيف.

مرت الأيام.. وشفى (طارق).. وعاد لفصله أكثر قوة؛ ليجد أن ما فعله صار رواية تُحكى!..

الجميع يعامله الآن، على أنه الولد الذي تحدى الناظر المُفترى.. وأغرق المدرسة!

ترى؟.. هل هذا جيد لتلك الدرجة؟!.. أم أن الجميع يكره ذلك الناظر؟.. ويريد الانتقام منه بأي شكل؟..

أصبح الغالبية حين يقابله.. يقابله بتحية؟!..

- « أهلا يا معلم.. »

خاصة أباطرة الشر من طلبة الصف السادس!.. لدرجة أنه صار مُؤهلا وبشدة، كي ينضم لأحد العصابات القوية بالمدرسة!..

راق الأمر لـ (طارق).. فالعروض حقا كانت كثيرة، لكنه كان يريد عصابة يُحقق فيها ذاته.. أكثر منها قوية!

انطلاقا نحو تأسيس عصابته الخاصة يوما..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابتسم (طارق) بلوعة، حين استعاد كل تلك الذكريات، لدرجة أنه لم يشعر بأمه.. وهي تدلف للغرفة، حاملة مائدة طعام كبيرة.. قائلة:

- « لماذا تبدو شاردًا هذه الزيارة؟.. »

تنهد (طارق).. ثم أسرع يلتقط منها الطعام، ليضعه فوق منضدة جانبية.. متمتما:

- « لا شيء يا أمي.. إطمئني.. »

نظرت له بعدم اقتناع.. قائلة:

- « لا.. ليست عادتك.. »

(طارق) ببساطة:

- « ربما شهر (سبتمبر).. تعرفين أنه يسبب لى تلك الحالة.. »

ابتسمت الأم.. ووضعت يدها على كتفه، مرددة:

- « طول عمرك كان يصيبك الاكتئاب، فى أول أسبوع بالمدرسة، لكنك الآن كبرت وصرت دكتورًا.. »

تنهد (طارق) قائلا:

- « معك حق.. رَحلت الأيام.. وبقي الأثر.. »

الأم بعد لحظة صمت:

- « أعرف أنك تعبت كثيرا فى بدايتك، لكنك من فاز فى النهاية.. »

(طارق) بتقدير:

- « ليس أكثر من تعبك يا أمي.. فلولا وجودك لما كان شيئًا.. »

- « لماذا لا تُريح قلبي إذن؟.. وتتزوج.. »

تغير مناخ الغرفة فجأة.. و (طارق) يبدأ فى تناول الطعام هاربًا من الإجابة.. والأم تستطرد:

- « لماذا لا تتزوج (مريم) ابنة عمك؟.. »

توقف (طارق) عن الطعام.. متسائلا بدهشة:

- « أنت من يقول هذا؟.. غريبة!.. »

عادت تضع يدها على كتفه.. قائلة:

- « (مريم) غير أبوها (سليم) وأمها (دولت).. إنها طيبة.. وفوق كل هذا تحبك.. »

ابتسم (طارق).. متسائلا:

- « وكيف عرفتِ أنها تُحبني.. »

- « عيناها تفضحها.. »

(طارق) بحسم:

- « أمي.. أرجوك أَغلقي هذا الموضوع.. أنا لا أفكر فى الزواج الآن.. »

تنهدت قائلة:

- « حاضر.. ربنا يهديك يا بنى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15 - الجنون..

التكوين..

اتفـق كـل علمـاء الطـب النفسي والاجتمـاع؛ علـى أن الفـارق كبيـر بيـن (التربية) و (الرعاية)؟!..

الرعاية: تعنى توفير الطعام، الملابس، المسكن الآمن، إلى آخر كل تلك الاحتياجات الفسيولوجية المعروفة التي يحتاج لها الكائن الحى، سواء كان ذلك إنسانًا أو حيوانًا على حد سواء، كي يبقى حيا؛ ويستطيع القيام بها (مُربية)، (خادمة)، أو مَنْ يقوم بالرعاية.

أما التربيـة: فهي مرحلة يختص بها الإنسان فقط؛ وتنحصر فـى تثقيف العقل؛ وإعـداده للحياة. لذلك عندمـا يصيـر كـل هَم الراعي أو رب المنزل، أو مَنْ يقوم بالرعاية هو توفير الطعام - فقط - لمن يرعاهم؛ ظنًا منه أنه هكذا قد قدم كل ما عليه نحو رعاياه، فهو يربى إذن حيوانًا أليفًا بالمنزل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يوم زيارة (طارق) للبلدة صباحًا..

دلف (شلبي) على (صفوت) فى معمله الصغير.. مرددا:

- « يبدو أنك لم تنم.. »

كانت عينا (صفوت) حمراء بشدة.. أغلق خلفه الباب قائلا:

- « قضيت الليل كله تقريبا أحاول فهم طبيعة ذلك العقار.. »

(شلبي) بلهفة:

- « هل توصلت لشيء.. »

قاده (صفوت) لقفص فئران التجارب.. فوجد ثلاثة من الخمسة قد ماتوا، بينما الاثنان الباقيان يتحركان بشكل طبيعي..

أماء (شلبي) برأسه.. متمتما بتفكير:

- « هذا يعنى أن الجرعات العالية مميتة.. »

(صفوت) وهو يلتقط شريحة.. ويضعها تحت الميكروسكوب:

- « الأهم هنا هو سبب الموت؟.. »

وأشار له كي ينظر.. فقام (شلبي) بذلك..

ران الصمت على الغرفة للحظات.. قبل أن يجلس (صفوت) على مقعد عالٍ؛ مرددا:

- « ما رأيك؟.. »

(شلبي) دون أن يرفع عينيه:

- « ضمور شديد فى الخلايا العصبية.. »

(صفوت) بحسم:

- « وسريع.. »

وسحب الشريحة ليضع أخرى.. مستطردا:

- « لقد قضى على غالبية المخ فى أقل من ساعة.. »

رفع (شلبي) عينيه عن الميكروسكوب.. مفكرا بصوت عالٍ:

- « يبدو واضحا الآن أن هذا عقار آخر، يعمل بشكل مدهش على زيادة مستوى (الدوبامين) و (السيروتونين) فى الجسم، مما يُقلل من مستوى العنف والعدوانية عند المريض، ويحسن التحكم الإدراكي والاجتماعي.. »

(صفوت) مؤكدا:

- « بالضبط.. لكنه فى المقابل، يُتلف خلايا المخ بالشكل الذي رأيته؛ ويتسبب فى حالة هياج عصبي، خارج عن السيطرة، خاصة عندما يقل تركيزه فى الدم.. ».

كان دكتور (شرنوبي) فى تلك اللحظة يبدو لـ (شلبي)، كأحد علماء القصص الخيالية الأشرار.. أو أحد أطباء (هتلر) المخابيل؛ الذين لا يتورعون عن فعل أي شيء، فى سبيل إنجاح تجاربهم.

(صفوت) مردفا:

- « هذا العقار يُحسن المريض مؤقتا؛ لكنه يحوله لمريض عضوي ونفسى حقيقي مع الوقت.. »

(شلبي):

- « منذ متى يتلقى (سقراط) ذلك الدواء؟.. »

هز (صفوت) رأسه بحيرة.. مُجيبا:

- « لا أعرف.. لكن ليس أقل من ستة أشهر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (طارق) في ذلك القطار، يلفح وجهه هواء الصباح المستمر، نتيجة عدم وجود زجاج.. ويتأمل تلك المساحة الخضراء الزراعية؛ بِبُعد نظره؛ حتى رن الهاتف..

كانت (شيماء).. فتح الخط يردد ببساطة:

- « صباح الخير.. »

هى بلوم:

- « لماذا أنت غير موجود بالمستشفى.. »

ابتسم (طارق):

- « هناك من سيعمل مكاني اليوم.. »

- « الطوارئ سيئة دونك.. »

ضحك (طارق):

- « إجازة يوم واحد فقط.. »

ضاقت عينا (شيماء) متسائلة:

- « أنت تركب قطار.. صح؟.. »

- « صح.. »

- « يبدو الصوت واضحا.. »

- « إنها أسرع طريقة لمنزل العائلة.. »

(شيماء) بمرح:

- « لا تنس إحضار فطير معك.. »

- « طبعا.. »

وكادت المكالمة أن تنتهى.. لكن (طارق) أسرع يستطرد:

- « ماذا وجدت اليوم فى الدرج؟.. »

غـاب الرد لثـوان.. قبل أن تُجيب (شيماء) بهدوء لا يتنـاسب مع لهجة المرح؛ التي كانت تنتابها فى بداية المكالمة:

- « لا شيء.. »

حاول (طارق) الحفاظ على مرحه:

- « غدا سيكون هناك هدايا؛ لقد فعل هذا من قبل.. »

غيرت (شيماء) دفة الحديث.. متمتمة:

- « لا تغب طويلا.. »

(طارق) باقتضاب:

- « غدا إن شاء الله سأكون فى الطوارئ.. »

وأغلق الهاتف شاردًا؛ قبل أن يلاحظ تلك الرسالة الطويلة التي وصلته مـن (ماجد)؟.. قرأها سريعا.. ثم اتصل به بقلق..

فتح (ماجد) الخط.. فتنهد (طارق) بارتياح متسائلا بحذر:

- « أنت بخير؟.. »

- « نعم.. »

- « آسف لم أر رسالتك سوى الآن.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس دكتـور (شرنوبي) يتطلع لذلك الكتاب فـى تركيـز، دون أن يشعر بـ (سقراط) وهو يتسلل لمكتبه بتؤدة.. ويغلق الباب من الداخل بالمفتاح.

هنا انتبه دكتور (شرنوبي) لما يحدث، لحظة استدارة (سقراط) لمواجهته. ضاقت عينا (شرنوبي) قائلا بحذر لم يخل من التوتر:

- « كيف وصلت إلى هنا؟.. »

تأمله (سقراط) المتأنق فى بدلة سهرة، للحظات صامتة بدت مخيفة.. قبل أن يقترب منه؛ قائلا بهوس:

- « كل الأبواب تم فتحها.. »

نهض (شرنوبي) يتراجع للخلف.. مرددا:

- « مَنْ أنت اليوم؟.. »

- « سأدعك تُخمن.. »

واستمر (سقراط) فى تقدمه نحوه..

- « ماذا سوف تفعل؟.. »

(سقراط) بمزيد من الهوس:

- « اطمئن.. لن أقتلك بسهولة.. »

حاول (شرنوبي) الضغط على أي زر استدعاء؛ كما يفعل مَنْ هم على شاكلته فى تلك المواقف، لكن أصابعه لم تصل لشيء؛ نتيجة أن (سقراط) رفعه بذراع واحدة لأعلى، قائلا:

- « لن يغيثك أحد.. »

تماسك (شرنوبي).. وهو يأخذ نفسه بصعوبة، مرددا باختناق:

- « لم أقابل تلك الشخصية من قبل؟!.. »

ضحك (سقراط) فى هستيريا:

- « إنها صناعتك.. »

(شرنوبي) بمزيد من الاختناق:

- « كُنت أحاول علاجك.. »

(سقراط):

- « ستذوق من نفس الكأس.. »

وقذف به نحو الأرض. صدم رأسَ (شرنوبي) جانب من مكتبه؛ فغامت الدنيا قليلا أمام عينيه..

ولم يشعر بأي شيء سوى بعد دقائق، بينما هو مُقيد اليدين والقدمين.. و (سقراط) يقف على رأسه، يُعد ذلك المحقن..

- « ماذا تفعل؟.. »

(سقراط) بجنون:

- « كما أخبرتك.. ستذوق من نفس الكأس.. »

ودب ذلك السن فى وريده العنقي المُنتفخ بعنف.. وأخذ يفرغه؛ بينما تُغرق الدماء رقبته.

حينئذ شعر (شرنوبي) بعذاب لم يشعر به من قبل؟!.. وترددت فى أرجاء المستشفى تلك الصرخة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كـان المُمَـرض (عنتـر) هـو أول مـن دلـف لمكتب (شرنوبي)، أعقبـه (عطية).. ثم (صفوت) و (شلبي).. والعديد من أطباء المستشفى والعاملين بها. عقب تلك الصرخة المُدوية.

تسمر الجميع يتأمل (سقراط) الذي وضع نصل خنجر حاد فوق قلب دكتور (شرنوبي)، الغائب عن الوعى؛ متمتما:

- « جيد أنكم هنا لمشاهدة النهاية.. »

شعر (صفوت) باتزانه!.. فالذي يقف أمامه الآن من الصعب أن يصنفه أحد كمريض نفسي؟!.. ذلك ما جعله حذرا.. وهو يقول:

- « مَنْ أنت اليوم؟.. »

ابتسم (سقراط) فى غموض.. متمتمًا:

- « ضيف جديد.. »

تبادل (صفوت) مع (شلبي) نظرة سريعة.. ثم قال باستفزاز:

- « أنا أعرفك.. »

أثار هذا انتباه (سقراط).. و (شلبي) يستطرد:

- « لقد كُنت فى نفس القاعة.. وأنت تعزف تلك المقطوعة.. »

(سقراط) باهتمام:

- « هل راقت لك؟.. »

- « نعم.. »

واقترب منه يردف:

- « أشعر أنك من كتب النوتة الموسيقية الخاصة بها؟.. »

أماء (سقراط) برأسه للأمام.. وهو يرفع نصل الخنجر الحاد، عن قلب دكتور (شرنوبي).. متمتما بتأثر:

- « لحن لم يكتمل.. »

فكر (شلبي) للحظة.. ثم قال:

- « تستطيع فعل هذا.. »

راقت الفكرة لـ (سقراط).. وشرد فى فراغ الغرفة، لدرجة أنه لم يشعر بيد (شلبي).. وهي تنتزع منه الخنجر بهدوء..

- « أنت تملك الموهبة.. »

ترك (سقراط) الخنجر.. لحظة انقضاض أربعة ثيران بشرية عليه. سحبوه للخارج وسط مقاومة شديدة.. ونظرات الغضب.

تدخل (صفوت) يقول بحسم:

- « حبس انفرادي.. مع حراسة مشددة.. »

أسرع (شلبي) يفحص الوريد العنقي لدكتور (شرنوبي).. بعدها قال:

- « نبض بطئ.. »

(صفوت).. وهو يرفع ذلك الأنبول الفارغ يتأمله أمام عينيه:

- « هذا طبيعي مع ذلك العقار.. »

(شلبي) بقلق:

- « هل أخذ تلك الجرعة كاملة؟.. »

(صفوت) بقلق مقابل:

- « يبدو هذا.. »

(شلبي) بينما ينظر لوجه (شرنوبي):

- « هل سيتحملها؟.. »

(صفوت) بحيرة:

- « لا نملك الآن سوى متابعته.. مع محاولة السيطرة على الضغط.. »

وأمر التمريض بسحبه على الفور.. مع إعطائهم بعض التوصيات. تأمله (شلبي) وهم يخرجون به من الغرفة؛ قبل أن يسأل:

- « من أين أتى (سقراط) ببذلة المايسترو التي كان يرتديها؟.. »

(صفوت) بينما يرافق الدكتور (شرنوبي) لأحد غرف العلاج:

- « كانت من ضمن مقتنياته حين دخوله المستشفى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة والنصف مساء..

حمام أحد المولات التجارية..

جلست (نصرة) عاملة النظافة الكبيرة فى السن؛ بأحد أركان الحمام الداخلية؛ تضع تلك الشرشوبة على الحائط.. وتشعل تلك السيجارة.

كانت (نصرة) نموذجًا للموظفة، التي تتشدق طيلة الوقت عن إنجازاتها!.. وكم تقدم من عطاء، لا يقدره أحد..

كيف هى مهضومة الحقوق، وسط مناخ لا يُقدر جهدها الوفير، فى الوقت الذي قد تكون فيه، لا تفعل شيئا حقيقيا من الأساس!..

إنها ذلك النموذج الذي لا يعرف فى حياته سوى الصراخ.. والصراع المستمر مع الآخرين.. وتصدير المشاكل.. والمَنّ بما يعطى!..

أيضا لا تهتم سوى بذاتها.. والبحث عن الحقوق السهلة بأقل مجهود؛ وعند التصادم أو مواجهة أحد لها بحقيقتها، تجدها تمارس الشعور بالاضطهاد أمام الجميع.

وحين تأَتَّى صباح يوم ما؛ مُقررة العمل قليلا، تملأ الدنيا ضجيجًا، بكم مجهودها الرائع، الذي لا يستحقه العالم.. وقد يتطور الأمر لطلب مكافأة. تلك شخصية لا تعرف إلا العوز؛ العوز بلا نهاية.

دلفت (الرَّيِّسة) كما يطلقون عليها، تنظر لها بعدم رضا.. قائلة:

- « لماذا تجلسين هكذا، مخصوم منك نصف يوم.. »

(نصرة) بمظلومية، تُجيد تصديرها:

- « لا يوجد شيء أفعله يا (رَيِّسة).. »

الأخيرة:

- « تعرفين أنه ممنوع التدخين.. »

أخذت (نصرة) نفسًا أخيرًا من السيجارة.. ثم قالت:

- « ها هى.. »

ورمتها على أرض الحمام؛ ثم سحقتها.. بعدها استطردت:

- « السماح بقى يا (ريسة).. »

لكن الأخيرة غادرتها بسرعة.. فعادت (نصرة) تجلس فوق مقعدها، وتُخرج سيجارة أخرى متمتمة باستهتار:

- « إلى الجحيم.. »

أثناء كل هذا؛ كانت (سالي) تقف فى ركن بعيد من الحمام؛ تعدل مكياجها.. وترمقها بنظرة احتقار، قبل أن تردد بتلقائية لم تخل من العصبية:

- « لا تعرفين سوى الإذلال!.. ألم تكتفى من ذلك؟.. هل يروق لك حالك هذا؟.. »

(نصرة) بعناد.. وهي تضع ساقًا فوق أخرى:

- « نعم.. سأظل أعمل.. ولن أمد يدي لك يوما.. »

ابتسمت (سالي) قائلة بمرارة؛ بينما تضع بعض المساحيق على وجهها سريعا فى المرآة:

- « لهذه الدرجة تكرهينني؟.. أنا ابنتك.. »

(نصرة) بصلابة:

- « أنا لم أنجب سوى فتاة واحدة، أما أنت فنبت شيطاني؟!.. تبرأت منه أمام الله.. »

(سالي) بقسوة:

- « ما زلتِ تفضلين الإنكار.. والبعد عن الحقيقة.. فكل الذي أنا عليه الآن من صناعتك أنت؟!.. أنا أشبهك فى كل شيء.. »

ثم أخذت تضحك بهستيريا.. و (نصرة) تخرج من الحمام؛ بينما (سالي) تُعيد ترديد النصف الثاني من العبارة، أثناء انصرافها:

- « كل شيء.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (ماجد) وسط ذلك الضوء الخافت بشقته، يعبث فى شيء ما على الهاتف، حتى رن الجرس معلنا قدوم ضيف ثقيل..

نهض ينظر من العين السحرية، حينها سمع صوت (سالي) يهمس بهدوء:

- « لماذا لا تفتح أو ترد على الهاتف.. أعرف أنك فى الداخل.. »

بعض الصمت..

- « افتح.. إنهم يراقبون المكان من الخارج.. »

صمت مرة أخرى..

- « آسفة حقيقي، إنى ورطتك فى هذا.. »

صمت مرة ثالثة..

- « أعدك أن أعمل على إصلاح الأمر.. انتظرني.. سأذهب لجلب المساعدة.. لا تقلق.. »

ثم انصرفت بتؤدة.. يبعث صوت خطوات كعبها العالي فى الخارج التوتر، تابعها (ماجد) عبر العين السحرية حتى ابتلعها السلم.. وعقله يضع العديد من السيناريوهات، كل منها أسوأ من الآخر..

- « اللعنة.. »

ثم أسرع يقف بجوار تلك النافذة، يرقب ظهورها فى الشارع.. كي يطمئن أنها فعلا غادرت المبنى..

مر عليه الوقت ببطء.. حتى لمحها تُوقِف تاكسي.. لكنها قبل أن تركب، تطلعت للنافذة التي يقف خلفها.. وأشارت له فى وداع؛ راسمة تلك الابتسامة الواثقة على شفتيها.

ورغم أن (ماجـد) كان على يقين أنها لا تـراه؛ فإنه تراجـع بحـدة للخلف أكثر!.. وعيناه تعود للبحث عن هؤلاء الذين يراقبونه، كما أخبرته..

ظل ينظر فى كل اتجاه لنصف ساعة كاملة، شَك خلالها فى الجميع، لكنه فى النهاية لم يصل لشيء..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حَانة شعبية لا تحمل عنوانًا، تُقدم الخمور الرديئة؛ فى أحد أحياء مصر القديمة. جلست (سالي) تضع ساقًا فوق أخرى بثقة، أمام (برعي).. الذي كان يختلس النظر لساقيها كل لحظة؛ وهو يستمع لها فى بلاهة.. ويجرع ذلك المشروب كل حين وآخر.

- « لقد أخذ كل عمولتي.. هل يرضيك هذا؟.. »

هز (برعي) رأسه فى رفض.. متمتما:

- « لا طبعا.. »

(سالي) فى دلال:

- « والحل؟.. »

هرش (برعي) شعره المُجعد.. محاولا التوازن؛ قائلا:

- « لا تقلقي.. أنتِ منذ الآن تحت حمايتي.. »

(سالي):

- « ليس كافيا.. »

ضاقت عينا (برعي) فى غباء.. متسائلا:

- « ما الذي يُرضيك؟.. »

- « أريد عمولتي كاملة.. »

جَرع (برعي) ما تبقى فى كوبه.. قبل أن يصب آخر؛ متمتما فى تردد:

- « مستر (جو) ليس سهلا.. ولديه سمعته ورجاله.. أيضا يجمعني به مصالح.. »

ارتسم الانفعال على وجه (سالي).. قائلة:

- « يبدو أن اختياري لك كان خطأ.. »

وهَمت فى النهوض مُنصرفة.. فاستوقفها (برعي) متمتما بضعف:

- « انتظري.. »

تنهدت.. وعادت للجلوس، ترتقب ما سيضيف:

- « ما سأفعله سينهى التعامل معه.. »

أضافت بثقة ولهفة:

- « سأعوضك.. عندي عملاء أهم منه بكثير؛ سيجلبون لك أي كمية عُملة تريدها.. »

ران الصمت بينهما للحظات، قبل أن ترتسم علامات الغرور والإثارة على وجه (برعي).. وهو يستدعى أحد رجاله.. صارخا:

- « (زورو)؟.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

16 - آخر ضوء..

من كثرة الخذلان؛ أصبحت (شيماء) لا تُجيد الانحناء.. الرجاء.. أو طلب شيء مرتين؟!.. صار الرحيل اختيارًا يناسبها عند أول لحظة رفض.

حتى عندما تُجالس ناسا يُعيدون أنفسهم.. ويحكون نفس القصص؛ التي تُمجد انتصاراتهم الزائفة على الحياة، تنهض ولا تعود!.. يبدو أن النضج الزائد يزحف بإصرار نحو عقلها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

درجة حرارة معتدلة.. يوم مُلبد بالغيوم..

الثامنة إلا ربع صباحا..

دلف (طـارق) لشقتـه بالدرب الأحمر، بعد زيـارة سريعة للبلدة، يضع حقيبة خفيفة فوق أول مقعد قابله..

كان (شلبي) ينام فوق أريكة فى الصالة، والذي بمجرد أن شعر به، فتح عينيه.. واعتدل جالسا..

(طارق) بسخرية.. وهو يغسل وجهه:

- « يبدو أن الأمر قد راق لك هنا.. »

فرك (شلبي) عينيه.. مضيفا:

- « أبدا.. لقد أتيت لك فى المساء فلم أجدك، فَكَسلت أن أعود للبيت.. »

(طارق):

- « هناك شيء اسمه موبايل.. »

(شلبي):

- « لم يكن يوجد معي رصيد.. »

ضحك (طارق)..

- « عالم علم نفس لا يوجد معه رصيد!.. »

تثاءب (شلبي) ومط عضلات جسده.. مرددا:

- « نحن بؤساء.. »

بعدها نهض ينظر فى الساعة.. مردفا:

- « أين ستكون مساء؟.. »

(طارق):

- « سوف أذهب لـ (ماجد).. عنده مشكلة.. »

عدل (شلبي) ملابسه، استعدادا للنزول.. متمتما:

- « سلام.. »

(طارق) بدهشة:

- « انتظر.. ألا تريد أن تعرف مشكلة (ماجد)؟.. »

هز (شلبي) رأسه فى نفى.. وهو يقف عند الباب؛ قائلا:

- « لا أريد سماع شيء.. يكفي ما لدى.. »

وانصرف سريعا.. بينما أضاف (طارق) ساخرا:

- « يبدو أنها أيام سيئة على الجميع!.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل (طارق) للطوارئ، يضع حقيبته ويرتدى البالطو الأبيض بملل، بعدها توجه للزيارة الحتمية لمكتب (شيماء) كي يقول صباح الخير، كما هو مُعتاد. طرق الباب بحذر..

- « ادخل.. »

دلف.. فوجد (شيماء) تحمل وجهًا مبتسمًا.. مشرقًا.. جذابًا.. وهي تحتسى القهوة.. وتقرأ باهتمام وسعادة تلك المجلة الفنية..

- « أين الفطير.. »

ابتسم (طارق) بإرهاق.. قائلا:

- « لقد هربت من البلد قبل أن يتم صناعته.. »

رفعت (شيماء) حاجبيها بدهشة.. متسائلة بمرح:

- « لماذا؟.. »

(طارق) بحسم:

- « أمي كانت تريد أن أقابل عروسة.. »

ضحكت (شيماء).. و (طارق) يستطرد بمرح:

- « ابنة عمى.. »

(شيماء).. وهي تعود تنظر للمجلة:

- « إنها قصة كل أم نحو أبنائها.. »

لمح (طارق) صورة (ناتالي بورتمان) فى الصفحة التي تقرؤها، أحد أهم نجوم هوليود المفضلين لديه.. فقال:

- « لم أعرف أن لك اهتمامًا بالسينما.. »

(شيماء):

- « أنا فعلا ليس لى اهتمام كبير بالسينما.. لكنه هذا الإعلان لفت نظري.. »

وأدارت المجلة نحوه كي يرى ما تحمله الصفحة؛ كان إعلانًا يتحدث عن اقتراب موعد عرض فيلم (البجعة السوداء) ([10]) فى شهر ديسمبر..

ابتسم (طارق).. متمتما:

- « البجع مرة أخرى.. »

(شيماء) بهيام:

- « نعم.. »

(طارق) بدهشة.. وهو يعيد لها المجلة:

- « لو كان البجع، يُغير مزاجك للأفضل هكذا دائما، أنا مستعد لإنشاء بحيرة كاملة هنا.. »

ضحكت من قلبها.. مرددة:

- « سوف أعزمك على هذا الفيلم حين عرضه.. »

- « اتفقنا.. »

ونهض ينصرف دون أن يسأل ذلك السؤال المعتاد.. ماذا وجدت اليوم فى الدرج، يبدو أنها تتجاوز الأمر.. أو أن هناك شيئا ما أسوأ فى الطريق!؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(سقراط) يضرب ذلك الباب المعدني بعنف.. ويتطلع للجميع بعداء. وقف (شلبي) و (صفوت) يتأملانه فى صمت دون إبداء أي رد فعل؛ حتى اقتحمهما صوت دكتور (شرنوبي) يأتي من الخلف.. قائلا:

- « كابوس.. »

ازداد هياج (سقراط) بمجرد أن لمحه.. و (شرنوبي) ينضم لهم مستطردا بعمق:

- « كابوس نفسى.. قادر على تعكير صفو كل القواعد التي تعلمتها.. »

(شلبي) بجرأة تتملكه لأول مرة:

- « جزء كبير مما هو عليه الآن نحن السبب فيه.. »

تجاهله (شرنوبي).. وهو يسأل (صفوت):

- « هل أخذ جرعة اليوم؟.. »

- « لا.. لا أحد يستطيع الاقتراب منه منذ الصباح.. »

(شرنوبي) بغضب:

- « لا بـد أن تكتمل التجــربــة.. قم بتكليـف (عنتـــر) أو (عطيـــة) بذلك.. »

(شلبي) بمزيد من الجرأة:

- « لاحظ أن هذا الدواء غير موجود أصلا فى بروتوكول العلاج، وتكليف هؤلاء سيجعل هناك أسئلة تحتاج إلى إجابات.. »

(شرنوبي):

- « بهذه الطريقة سينهار.. وقد نفقده.. »

(شلبي) بحسم:

- « وتفقد معه نتائج علمية، ستزيد من رصيدك لو اكتملت.. »

فاض الكيل بدكتور (شرنوبي).. فالتفت لـ (شلبي) قائلا بحدة:

- « ما هو تاريخك العلمي كي تملك قدرة الحكم على الأشياء.. أنت تلميذ.. مفهوم.. تلميذ لا بد أن يظل صامتا؛ عندما يعمل الكبار.. »

(شلبي) بعنف:

- « لا أستطيع الصمت أمام جريمة يتم ارتكابها أمامي.. »

(شرنوبي) بمزيد من الحدة:

- « أنت أمام شيء جديد أو نادر الحدوث فى تاريخ الحالات النفسية، شيء يتطلب الخروج عن الأبجديات والقوالب التراثية التي تحفظها.. »

قال (شرنوبي) تلك العبارة.. وانصرف بخطوات سريعة، تأمله (صفوت) بنظرات متفحصة حتى اختفى من أمامه.. ثم قال بتفكير:

- « ألم تلاحظ شيئًا فى دكتور (شرنوبي)؟.. »

(شلبي) بغضب:

- « صار أكثر غرورا.. »

(صفوت).. وهو ما زال على نفس درجة شرود التفكير:

- « يبدو أكثر نشاطا.. وأصغر عمرا.. »

فكر (شلبي) قليلا.. ثم قال متحركا:

- « تعال معي.. »

- « إلى أين؟.. »

سار (صفوت) خلفه.. و (شلبي) يُجيب:

- « المعمل.. »

- « لماذا؟.. »

توقف (شلبي) يضيف بهوس:

- « سأقوم بتجربة ذلك العقار على نفسى.. »

(صفوت) باعتراض:

- « أنت مجنون.. »

- « نعم.. »

- « منطق غير مفهوم.. »

(شلبي) بعدما وصل للمعمل.. وكشف عن ذراعه سريعا:

- « بالعكس.. إنها الطريقة الوحيدة لمعرفة تأثيره.. »

(صفوت) بحدة.. وهو يتأمله يقوم بإعداد المحقن:

- « لن أشترك فى تلك الجريمة.. »

(شلبي):

- « لا تخاف.. أمبول واحد لن يضر.. ومثال دكتور (شرنوبي) أمامك.. »

ران الصمت بينهما لثوان.. و (صفوت) يحسم أمره فى تردد:

- « قد يدمر هذا جزءًا من عقلك.. »

(شلبي) بسخرية:

- « لا تقلق.. هناك جزء كبير تالف من الأساس.. »

وضع (شلبي) قطعة من الشاش القوى بين أسنانه.. وهو يعطى المحقن لـ (صفوت) مستطردا:

- « هيا.. لا تضيع الوقت.. »

حسم (صفوت) أمره.. وجلس يدفع المحقن فى دم (شلبي).. وتعالت صرخات جديدة فى المكان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بداية الليل.. تحديدا آخر ضوء.. شقة الدقي..

بدا (ماجــد) متوتــرا.. قلقا عكس عادتـه تماما، بعدما فقد روح المرح والدعابة التي يتميز بها..

نظر لنفسه فى مرآة الصالة للمرة الألف خلال اليوم.. يتمتم:

- « ما الذي جرى لك؟!.. كيف كنت ساذجا لتلك الدرجة؟!.. »

هنا دق جرس الباب.. فانتفض جسده فى توجس، وتسمر ينظر له دون أن يتحرك من موقعه..

عاد الجرس يرن من جديـد.. فتحرك فى تؤدة ينظر من العين السحرية.. كان (طارق).

هنا.. تنفس الصعداء؛ وفتح الباب سريعا..

- « كل هذا الوقت كي تفتح الباب؟.. »

دلف (طارق) للشقة، مرددا تلك العبارة بسخرية؛ بينما ينظر (ماجد) فى الخارج يمينا ويسارا، على طريقة رجال المخابرات، حتى يتأكد أن لا أحدًا يتربص به.

(طارق) بسخرية بعدما لحق به:

- « هل وصل الأمر لتلك الدرجة؟.. »

جلس (ماجد) يدفن رأسه بين يديه.. مستطردا بعصبية:

- « أعيش هذه الأيام كابوسًا.. »

صمت (طارق) للحظات.. بعدما شعر أن الموقف لا يحتمل السخرية، حتى ولو كان على سبيل التلطيف..

- « هل حدث شيء جديد؟.. »

- « لا.. لم أغادر الشقة حسب نصيحتك.. »

اعتدل (طارق).. يقول:

- « أريد أن أعرف تفاصيل الحكاية.. »

أخذ (ماجد) نفسًا عميقًا؛ ثم بدأ يروى له كيف تعرف على (سالي).. وكيف تم توريطه؛ فيما هو عليه الآن؛ حتى انتهى..

لم يَلُمْهُ (طارق) على شيء، بل أخذ يفكر بصوت عالٍ متسائلا:

- « ما العمل الآن؟.. »

(ماجد):

- « للأسف.. فى موقف كهذا، لا نستطيع سوى أن نكون رد فعل.. »

هز (طارق) رأسه برفض.. متمتما:

- « لا.. علينا أن نبلغ الشرطة.. »

(ماجد) بعصبية:

- « ماذا سنقول لهم؟.. »

مط (طارق) شفتيه.. مُجيبا:

- « الحقيقة ببساطة.. »

كاد (ماجد) أن يستمر فى اعتراضه؛ لكن فجأة دق جرس الباب؟.. عاد التوجس ينتابه بشدة.. ونظر لـ (طارق) فى تساؤل.. عن ماذا يفعل؟.. فأشار له فى صمت، أن يرى مَنْ على الباب؟..

نهض (ماجد) يفعل.. قبل أن يعود هامسا باضطراب:

- « إنها هى.. »

فكر (طارق) لثوان.. ثم قال:

- « وحدها.. »

- « نعم.. »

(طارق) بحسم:

- « افتح.. »

- « لا.. »

- « لا بد من المواجهة.. »

(ماجد) بعصبية:

- « ماذا لو دلف أحد معها.. »

(طارق) بتفكير:

- « لا أعتقد هذا.. افتح.. لا بد أن تسمع ما لديها.. »

واختفى بغرفة جانبية مستطردا:

- « سأكون بالجوار.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح (شلبي) عينيه، تنتابه حالة غريبة من الإيفوريا (Euphoria) ([11]).. والنشاط الزائد.. والرغبة فى اليقظة..

حالة لم يشعر بها من قبل فى حياته؟!..

- « حتما هذا يُشبه العقار؛ الذي يُحقن به الرجل الأخضر.. »

ترددت تلك العبارة فى خاطر (شلبي) بسخرية.. قبل أن يجلس متسائلا بهوس:

- « كم الساعة الآن؟.. »

نهض (صفوت) يفحصه.. وعلامات الإرهاق تبدو على وجهه..

- « السادسة مساء.. »

وقف (شلبي) على قدميه.. متمتما:

- « يااااه.. غبت عن الوعي كل هذا الوقت؟!.. »

اقترب منه (صفوت) أكثر.. يقول بحذر:

- « كيف تشعر الآن؟.. »

(شلبي) دون إفادة حقيقية:

- « ليس هناك أفضل من هذا. أريد أن أرى (سقراط).. »

(صفوت):

- « لم يستطع أحد الدخول له منذ الصباح.. أيضا عازف عن الطعام.. »

أخذ (شلبي) يُعد محقنًا.. فاقترب (صفوت) يسأله:

- « ماذا تفعل؟.. »

(شلبي) بسخرية:

- « هل يبدو ما أفعله غامضًا لتلك الدرجة؟.. »

(صفوت) بجدية:

- « هذا خطر.. لو دخلت إليه قد يفتك بك.. »

سحب (شلبي) السائل الشفاف فى السرنجة.. قائلا:

- « لن أدعه يموت؛ بعدما أصبح مدمنًا عليه.. لا بد أن يستمر على جرعات متناقصة، هذا هو الحل الوحيد الآن.. »

رفض (صفوت) منطقه..

- « أخشى أن يكون الوقت فات على ذلك.. »

بدأ (شلبي) فى التحرك..

- « ليس أمامنا سوى المحاولة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

17 - الرحيل..

لا تحصل على شيء مُلطخ بالرجاء؛ ما يذهب دعه يذهب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ (ماجد) نفسًا عميقًا؛ ثم فتح الباب..

(سالي) بمرح:

- « وحشتني.. »

ودلفت سريعا تستطرد.. كأنهم يستعدون لرحلة..

- « لم أكن أعرف أنك جبان لتلك الدرجة.. »

سار (ماجد) خلفها.. قائلا بغضب:

- « لقد تعرفت إلى فتاة بغرض الصداقة، ثم بعد ذلك أكتشف أنها تاجرة عملة.. »

ضحكت قائلة:

- « ماذا بها تجارة العملة؟.. شيء تفعله كبار الدول كل يوم.. »

أغمض (ماجد) عينيه للحظة كي يتحكم فى غضبه.. ثم قال:

- « ما الذي تريدينه منى بالضبط.. »

اقتربت منه تُجيبه بجدية:

- « اسمح لى بأن أسألك نفس السؤال.. »

ارتبك (ماجد).. فابتسمت مستطردة بسخرية:

- « أنت شخصية مُنفلتة يا دكتور.. تستحق العقاب.. »

غاظ (ماجد) بشدة لهجة الوصاية التي تمارسها عليه، فقال بغضب:

- « ومن أعطى لكِ ذلك الحق؟.. »

أجابت بسخرية:

- « كان يتوجب على الاستسلام.. أمام ذلك الطبيب الوسيم؛ الذي تتمناه كل فتاة، وأن أرضى بما يعطيه لى من وقته.. »

(ماجد):

- « لنفترض أنى مُنفلت كما تقولين.. هل يكون عقابي ضياع مستقبلي.. أنا أعيش سني.. »

- « تعيشه بشكل خطأ.. على حساب مشاعر الآخرين.. »

(ماجد) بسخرية:

- « أنت آخر فتاة تعطى نصائح؟!.. »

ضحكت باستهتار.. ثم قالت بلهجة مخيفة:

- « قد يكون معك.. وقد تكون سيئ الحظ.. لكن المؤكد أنك ستدفع الثمن، لو لم تساعدني الليلة على استعادة حقي.. »

ازدرد (ماجد) لعابه.. محاولا التماسك..

- « لن أساعدك فى شيء.. »

تعالت ضحكاتها أكثر.. قبل أن تنظر له؛ قائلة باستخفاف:

- « أين (ماجد).. الذي كان يُحدثني عن مغامراته فى الفضاء.. »

أثار هذا غضب الأخير بشدة.. لحظة عودة جرس الباب، انتفض بشدة.. فضحكت (سالي).. قبل أن تقول:

- « أعتقد أنه مستر (جو) بعدما رصد رجاله دخولي هنا.. »

نقل (ماجد) نظراته بينها.. وبين الباب فى تردد.. وهي تستطرد باستهتار لا يناسب الموقف:

- « لن يتوقفوا.. لا بد أن تفتح.. »

استمر جرس الباب يضرب فى عنف.. حتى استجاب (ماجد) وفتح الباب، فوجد فعلا مستر (جو).. ومن خلفه اثنان من رجاله..

دلف فى صمت، راسمًا تلك الابتسامة الواثقة الساخرة على شفتيه.. وهو يتأمل الشقة مرددا بغموض:

- « مكان يصلح للنهاية؟!.. »

ضحكت (سالي).. متمتمة بتحدٍّ:

- « معك حق.. لكن لا أحد يعرف نهاية مَنْ؟!.. »

تحرك (جو).. واضعا يده فى جيوب معطفه، قائلا بنفس الغموض:

- « ترى.. ما الذي يقف وراء تلك الثقة فى صوتك؟!.. »

توجست (سالي).. وصمتت تنتظر ما يُضيف..

- « لو كنتِ تنتظرين الغبي (برعي)، أنه سوف يأتي لإنقاذك.. فأحب أن أقدم لك تلك الهدية.. »

ومسح فوق شاشة هاتفه الخلوي، ليبدو الأخير مُقيد اليدين والقدمين فوق مقعد معدني.. وفى حالة يرثى لها.

بهتت (سالي).. وهو يردف للمرة الثالثة:

- « ما رأيك أن نبدأ التفاوض من نقطة الصفر.. »

(سالي) بشراسة:

- « لن يغير هذا من الأمر شيئًا.. »

أثار هذا غضب مستر (جو) ربما لأول مرة.. فأشار لأحد رجاله، فهوى على مؤخرة عنقها بتلك الضربة؛ والتي على أثرها غابت عن الوعي..

تلقفها ذلك الثور، كأنها طفل صغير.. ليرفعها على كتفه، بينما (ماجد) يحاول الهرب؛ فتلقى هو الآخر تلك الضربة التي دفعته نحو الحائط.. فشُجت رأسه.

ران الصمت بعدها لثوان، قبل أن يقول مستر (جو) لرجاله:

- « هيا بنا.. »

سأله أحدهم:

- « هل سنتركه.. »

وضع (ماجد) يده على جرح رأسه الغائر، محاولا الضغط على مصدر الدماء التي أغرقت وجهه.. ومستر (جو) يُجيب بثقة:

- « إنه أعقل من أن يتدخل فى هذا الأمر مرة أخرى، أليس كذلك يا دكتور؟!.. »

لهث الأخير.. وهو يومئ برأسه، فيما يعنى تأكيد الأمر.. قبل أن يتقدم مستر (جو) رجاله، ويغادر الشقة.

تسلل (طارق) محاولا السيطرة على جرح رأس (ماجد)، الذي من كثرة الدماء المفقودة، بدأ يفقد الوعى..

وعقله يحاول الإجابة على سؤال واحد غير مفهوم..

- « مَنْ تلك الفتاة التي كانت هنا؟.. »

لهث (ماجد) مجيبا بدهشة:

- « (سالي).. »

شردت عينا (طارق) محاولا استيعاب الأمر.. وهو يردد بشك:

- « أنا أعرفها باسم آخر.. (شيماء).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بجرأة كبيرة، لم يكن ليملكها (شلبي) قبل تلقى ذلك العقار، دلف على (سقراط) الملقى على الأرض.. شبه فاقد للوعي..

انحنى سريعا يحاول دفع ذلك السائل فى ذراعه، لكن حالة الجفاف التي كان عليها الأخير، نتيجة عدم تلقيه أي غذاء خلال اليوم، جعلت أوردته تهرب للداخل. مما جعل (شلبي) يستخدم وريده العنقي.

كانت الجرعة بسيطة، لذلك لم يصرخ (سقراط) أو حتى يفقد الوعى، كما هو مُعتاد.. بل نهض جالسا، بمجرد أن أنهى (شلبي)، ضخ العقار فى دمائه.

أسرع بعدها يشرب من ذلك الوعاء بيد مهتزة، حتى ارتوى تماما.. هنا صرخ (صفوت):

- « اخرج الآن.. إنها فرصتك.. »

لكن (سقراط) كان الأقرب للباب المعدني؛ فأغلقه بعنف من الداخل.. أضف أن (شلبي) لم يحاول الخروج من الأساس؟!..

بل ذهب لمصافحته.. مرددا بانتشاء:

- « حسنا فعلت.. أنا لا أحب الإزعاج.. »

الغريب أن (سقراط) صافحه بالمقابل.. وسار الاثنان ليجلسا أمام أحد الحوائط.

تجمهر الكثير خارج الغرفة، قبل أن ينضم لهم دكتور (شرنوبي).. الذي لم يكن قد غادر المستشفى بعد..

- « منذ متى هو فى الداخل؟.. »

(صفوت):

- « دقائق.. »

(شرنوبي) بغضب:

- « من سِمح لِه بِهذا؟.. »

- « لم يأخذ رأى أحد.. »

التفت الدكتور (شرنوبي) إلى (عنتر) و (عطية).. قائلا بلهجة آمرة:

- « حاولا تدمير ذلك الباب.. »

(عنتر) بتوتر:

- « تعرف سيادتك أن هذا مستحيل، لقد تم تصميمه على هذا.. »

ونظر للأرض.. فعاد (شرنوبي) يراقب ما يجرى بالغرفة..

كان (شلبي) يقول:

- « لم يعد مهما معرفة مَنْ أنت الآن.. »

(سقراط) بشرود.. وعيناه تزيغ فى فراغ الغرفة:

- « أنا لا أعرف حقا من أنا الآن.. »

وازدرد لعابه.. مردفا بصعوبة:

- « صرت كل يوم أقابل شخصًا مختلفًا.. لكنى أذكرك.. »

- « كيف؟.. »

(سقراط) بمزيد من الصعوبة:

- « لا أعرف.. هناك جزء من عقلى يذكرك.. »

مط (شلبي) شفتيه بعدم فهم واقتناع.. مرددا بانتشاء:

- « هذا غير منطقي؟!.. أنت مريض فصام وذُهان متقدم؟!.. والمفروض ألَّا يحدث ذلك.. »

نظر له (سقراط) بعيون بائسة.. ثم مد يده المرتعشة، متمتما:

- « كان إحساسي بك جيدًا.. »

- « ماذا يعنى هذا؟.. »

(سقراط) بتصالح شديد مع حالته.. وبعض الدماء تسيل من أنفه:

- « وقت الرحيل.. »

ابتسم (شلبي).. مرددا بهستيريا:

- « سألحق بك قريبا.. »

وأخذ يهز يده المُمسكة بيد (سقراط)؛ الذي فاضت روحه لربها.

بدأ الطرق على الباب المعدني يأتي بعنف..

- « افتح.. افتح.. »

انتبه (شلبي).. ونهض يستجيب لطلبهم المزعج، قبل أن يقتحم العديد من الطاقم الطبي بالمستشفى الغرفة..

فحص أحدهم (سقراط) سريعا.. قائلا بأسف:

- « لقد مات.. »

ران على الجميع الصمت.. بينما وقف (شرنوبي) ينظر له بجمود..

ابتسم (شلبي).. وتقدم نحوه يقول:

- « دكتور (شرنوبي)؟.. »

انتبه الأخير له.. و (شلبي) يردف:

- « اسمح لى أن أعبر لك عن ذلك.. »

وصفعه صفعة قوية.. جعلته يفقد الوعي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

18 - النهاية..

قد لا تبدأ بعض الأمور فى التحسن؛ إلا بعدما يحترق كل شيء. الترميم مهما كانت جودته؛ يُطيل عمر المعاناة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نام (ماجد) على طاولة جراحة طوارئ مستشفى (حتشبسوت)، يتأوه بشدة.. بعدما أوصله (طارق)..

الممرضة بقلق:

- « ما الذي جرى له؟.. »

(طارق):

- « تعرض لحادث.. »

الممرضة:

- « هل ستقوم حضرتك بتخييط الجرح؟.. »

(طارق):

- « لا.. استدعى نائب الجراحة.. »

اقتحمه صوت أنثوى يعرفه جيدا.. يقول:

- « أنا هنا.. »

كانت الدكتورة (شرين). لم يستطع (طارق) مقاومة الابتسام.. وهو يهمس:

- « هو لك.. »

وانصرف سريعا لمهامه.. بينما دلفت الأخيرة لغرفة الجراحة، برفقة اثنين من التمريض الرجال.. قائلة بنشوة:

- « لم يَجُل بخاطري يوما أن أنال شرف علاجك.. »

ارتسمت علامات الهلع على وجه (ماجد).. وهو يحاول النهوض هاربا..

- « لا.. لا أريد العلاج.. »

لكن التمريض كبل حركته.. وهو ما زال يردد:

- « اتركني يا (رضا).. »

(شرين) بتلذذ.. وهي ترتدى القفاز الجراحي ببطء:

- « وبعدين؟.. تلك التصرفات لا تليق بك.. »

- « لا أريد العلاج.. »

اقتربت (شرين) تحمل ماسك الإبر.. متمتمة ببرود:

- « المشكلة أن المُخدر الموضعي قد نفد منذ دقائق.. »

اتسعت عينا (ماجد) بمزيد من الهلع.. وهي تستطرد:

- « وهذا يعنى أننا سنعمل فى الجرح على الحى.. »

وبدأت تأخذ أول غرزة بشكل عميق.. و ...

تعالت صرخات (ماجد) تملأ الطوارئ..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أخذ (طارق) يرن على هاتف (شيماء) دون استجابة، وهذا لم يحدث فى علاقتهما من قبل!..

إنها دائما تُجيب فى النهاية؟!..

أخذ (طارق) يفكر قليلا.. ثم عاد للاتصال، لكن ليس بـ (شيماء) هذه المرة.. بل بصديقتها (نجوى)..

لم يغب الرد:

- « مساء الخير دكتور (طارق).. »

الأخير محاولا أن يبدو طبيعيا:

- « آسف للإزعاج فى هذا الوقت.. »

- « لا أبدا.. إنها ما زالت الثامنة.. »

- « أريد أن أعرف عنوان منزل (شيماء).. »

(نجوى) بدهشة:

- « لماذا؟.. »

- « هى غير متاح منذ ساعات، وأريد طلب شيء ما منها لتحضره غدا.. »

(نجوى) ببساطة:

- « هل أستطيع المساعدة.. »

- « لا شكرا.. الأمر يخصها شخصيا.. »

(نجوى):

- « أنا لا أعرف عنوانها بدقة.. فأنا لم أذهب إليه يوما.. »

ضاقت عينا (طارق):

- « غريبة.. »

(نجوى) بإحراج:

- « رغم ما يبدو من مستوى علاقتها بالآخرين وبي شخصيا، فإن أحدا لم يدخل بيتها من قبل.. »

فكر (طارق) للحظة.. ثم قال:

- « أعطني العنوان.. »

- « إنها تعيش مع أمها وأختها التوءم فى (دار السلام).. »

لفت نظره كلمة توءم:

- « (شيماء) لها أخت توءم؟.. »

- « نعم.. هكذا كانت تخبرنا دائما.. »

شرد (طارق) يفكر فى كلامها.. فهذا قد يبرر ما شاهده اليوم؟.. لكن فى كل الحالات لا بد من أن يتحرك سريعا..

أنصت لها؛ وهى تعطيه بقية العنوان بالتفصيل، على حد علمها به.. ثم أغلق الخط، قبل أن يعود للاتصال مرة ثالثة..

- « (شلبي).. أين أنت؟.. »

الأخير بانتشاء:

- « فى الشارع.. »

- « أين بالضبط.. »

تلفت (شلبي) حوله.. فلم يعرف تحديد موقعه، مما جعله يسأل أحد المارة..

- « ما عنوان هذا المكان؟.. »

نظر الرجل له فى ريبة.. قبل أن يُخبره. عاد (شلبي) يضع السماعة على أذنه.. محاولا إِعلام (طارق) بما قاله الرجل، فأسرع الأخير يردد:

- « لقد سمعت.. لا تتحرك من مكانك.. »

(شلبي) بمرح:

- « تمام.. »

ثم أخذ يبحث عن أقرب مكان يبيع قهوة بالمكان..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التاسعة والنصف مساء..

صعد (طارق) بحذر، برفقة (شلبي) تلك العمارة القبيحة؛ قبل أن يتوقف أمام شقة (شيماء)..

- « المكان مظلم.. يبدو أنه لا يوجد أحد هنا.. »

بدرت تلك العبارة من (شلبي).. بينما (طارق) يطرق على الباب بهدوء.. انتظر بعدها قليلا.. ثم عاد للطرق مرة.. ثم مرة.. لدرجة أزعجت الجيران.

خرجت تلك المرأة العجوز من الشقة المجاورة تسأل بحذر:

- « ماذا تريدون؟.. »

(طارق) بإحراج:

- « الآنسة (شيماء).. »

المرأة باقتضاب.. وهي تشرع فى غلق الباب:

- « إنها لا تعود الآن.. »

أسرع (طارق) يسألها:

- « هل نستطيع مقابلة أمها أو أختها؟.. »

هنا تسمرت المرأة تنظر لهما فى تفحص لثوان.. قبل أن تسألهما من جديد:

- « مَنْ أنتما؟.. »

- « زملاء فى العمل.. »

نظرت لهما فى شك.. ثم قالت بحسم:

- « والدة (شيماء) ماتت منذ ما يزيد عن خمسة عشر عام.. وأختها قبل ذلك بعام.. »

بهت (طارق).. وهو يتبادل مع (شلبي) تلك النظرة المتسائلة؛ قبل أن يعود للمرأة..

- « سؤال أخير.. هل تعرفين عنوانًا لأحد من عائلتها أو حتى معارفها؟.. »

المرأة ببساطة:

- « نعم.. خالتها (زينب).. »

(طارق) بلهفة:

- « هل تذكرين عنوانها.. »

نظرت لهما المرأة فى صمت، بشكل كوميدي.. ثم قالت:

- « إنها تملك العمارة.. وتسكن فى الشقة التي فوقى مباشرة.. »

ثم أغلقت الباب دون مقدمات..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صعد (طارق) للدور الذي يعلو تلك المرأة العجوز.. وعلى نفس الباب توقف؛ تمتم (شلبي):

- « هذا سيجلب المتاعب.. »

تجاهله (طارق).. وطرق الباب برفق..

همس (شلبي):

- « ماذا ستقول لهم؟.. »

لكن قبل أن تأتيه الإجابة انفتح الباب.. وظهر خلفه شاب يقترب من عمرهما، يقول:

- « مَن تريدون؟.. »

(طارق) بحسم:

- « الأستاذة (زينب) لو سمحت.. »

- « أنا ابنها.. هل أستطيع أن أقدم لك خدمة؟.. »

(طارق):

- « فى الحقيقة أنا أريد الحديث معها مباشرة، لو أن هذا متاح.. »

أعطاه الشاب ابتسامة هادئة.. ثم اختفى قليلا.. قبل أن تظهر امرأة فى الخمسينيات من عمرها، يبدو عليها الوقار.. وتشبه (شيماء) قليلا..

نظرت لـ (طارق) من خلف نظارتها الطبية السميكة.. متمتمة:

- « خير يا ابنى.. »

تلجلج (طارق):

- « أريد الحديث معك قليلا بخصوص (شيماء)؟.. »

كَسا وجه (زينب) الحزن فجأة.. قائلة:

- « هل أخذت منك شيئًا؟.. »

ضاقت عينا (طارق).. وتبادل مع (شلبي) نظرة سريعة.. ثم قال:

- « يبدو أنها تجلب لك العديد من المشاكل.. »

شعرت (زينب) نحوه بالارتياح..

- « نحن لم نتعرف.. »

مد يده لها قائلا ببساطة:

- « (طارق).. (طارق عبد الملك).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت أسرة (شيماء) بسيطة، بنتان توءم غير متماثل.. وأب وأم.. لكن فجأة بدأت تلك المشكلة. الصراع مع (سالي)؟!..

(سالي) منذ صغرها فتاة مُدللة، ربما كان جمالها الملحوظ هو السبب. لدرجة أن أي غلطة كانت تفعلها تمر ببساطة، وفى أوقات كثيرة بعقاب طفيف، لو لزم الأمر.

أما (شيماء) فكانت تسهر دائما تعمل فروضها المدرسية.. وتجتهد دون أن يراها أحد. تلك كانت غلطة الأبوين التي لم يفطنوا إليها سوى متأخر.

بمرور الوقت تعمق الشعور بالاضطهاد، والتهميش داخل (شيماء) حتى فاض بها الكيل.. وقررت التعبير عن غضبها.

كان ذلك فى الإسكندرية. اختارت (شيماء) ذلك الفستان، لكن (سالي) تعلقت به، وصممت على ارتدائه.

وكالعادة ناصرها الأبوان، مما دفع (شيماء) لصفع أختها على ذلك الشاطئ فى اليوم التالي.

هربت (سالي) بعدم تركيز، محاولة العودة لأبيها.. لكن قدمها انزلقت.. وسقطت من فوق تلك الصخرة فى المياه.

فارقت (سالي) الحياة.. ومنذ ذلك الحين.. تلون كل شيء بروح الكآبة.. وصار الكل يلوم (شيماء) على فعلتها، التي لم تقصدها.

ماتت أختي (نصرة) بعد تلك الأحداث بعام تقريبا.. ومن خلفها الأب، الذي رفض دخول (شيماء) عليه؛ وهو فى سرير المرض.

لتصبح المسكينة وحيدة فى أحرج لحظات حياتها..

توليتها بالرعاية، لكن كانت كلما تتقدم فى السن.. أشعر أنها تبتعد عنى أكثر، حتى ظهرت تلك المشاكل منذ عام.

فجأة صارت ترتدى ملابس غير لائقة.. حَرمتْ عَلىَّ دخول شقتها.. تعود فى ساعات متأخرة من الليل.. تصَادق شبابًا كثيرًا.

تحولت لكابوس.. فشلت معه كل محاولات الإصلاح..

استمع (طارق) و (شلبي) لكل هذا دون مقاطعة.. قبل أن يقول:

- « متى آخر مرة قمتِ بزيارتها.. »

(زينب):

- « لا أذكر.. لكن ليس أقل من عامين.. »

ران الصمت على غرفة الصالون التي يجلسون فيها للحظة، قبل أن يعـود (طارق).. قائلا:

- « إنها تتقمص شخصية أختها (سالي) فى الواقع.. »

ضاقت عينا (زينب) بعدم فهم:

- « ماذا تعنى؟.. »

(طارق) موضحا بحيرة:

- « حتى الآن لا أعرف إن كان هذا يحدث بشكل مَرضىّ؟.. أو أنها تتعمد ذلك؟.. »

(شلبي) باقتضاب:

- « لا أعتقد.. إنها حالة فصام أخرى.. »

(زينب) بقلق:

- « هل هناك خطر على حياتها؟.. »

نهض (طارق) يقول:

- « حتما سنعرف.. »

ونظر لـ (شلبي).. يستطرد بحسم:

- « هيا بنا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اقترب أحد رجال مستر (جو) يهمس فى أذنه بتلك العبارة:

- « لقد فاقت.. »

اكتفى الأخير بهز رأسه.. والرجل يُضيف بتردد:

- « لكن هناك شيئا ما يحدث.. »

حصل الرجل على اهتمام مستر (جو).. وهو ينتظر ما سوف يقوله؛ فاقترب الرجل منه أكثر يشرح ما شاهده بأعلى..

مستر (جو) بدهشة:

- « ماذا تقول؟.. »

الرجل بحسم:

- « تستطيع أن ترى بنفسك.. »

ترك (جو) ما كان يفعله.. وصعد للدور الثاني للكافيه، فوجد ثلاثة من رجاله ينتظرونه بترقب.. وكبيرهم يفتح الباب فى صمت..

دلف (جــو) للغرفــة دون تــردد، يتطلع لـ (شيماء).. التي كانت فـى حالــة يرثــى لها؟!.. كانت تبكي فــى هستيريا.. وتتطلع للوجــوه فى خــوف مرددة:

- « مَنْ أنتم.. وكيف أتيت إلى هنا؟.. »

وأخذت تُطيل فستانها القصير بيدها كي تدارى ركبتيها؛ فتأملها (جــو) بحذر، قبل أن يقول:

- « هذه لعبة سيئة.. ولن تنجح فى إخراجك من هنا.. »

صرخت (شيماء):

- « مَن أنتم.. وماذا أفعل هنا.. »

كـانت الجديـة تبـدو عليهـا.. فاقترب أحـد الرجـال يهمس فى أذن مستر (جو)؛ قائلا:

- « لا أعتقد أنها تمثل.. »

نظر له الأخير بعدم اقتناع.. ثم قال بسخرية:

- « إنها قادرة على خداع الجميع؛ أنا أعرفها جيدا.. »

الرجل بعناد:

- « ليس لتلك الدرجة.. »

كسرت (شيماء) زجاجة كانت أمامها، قبل أن تلتقط جزءًا من الزجاج المحطم، متمتمة بهستيريا:

- « إذا لم أخرج.. سأنتحر.. »

وصوبت قطعة الزجاج نحو شريان يدها الأمامي. توترت الأجواء.. والرجل يقول:

- « إنها مجنونة.. »

(جو).. وقد بدأ الاقتناع يزحف نحو عقله؛ فهو غير مستعد للتعامل مع جريمة هنا:

- « دعوها تخرج.. »

أفسح لها الرجال المجال.. فتحركت ببطء حذر؛ حتى وصلت للسلالم الداخلية، عندئذ انطلقت تهرول؛ كأن شياطين الجحيم تطاردها..

وصلت للشارع.. تسير بغير هدى.. تعثرت.. نهضت.. وقد سالت كل المساحيق التي على وجهها؛ بعدما اختلطت بدموعها.. و..

وجدت (طارق) - فجأة - أمامها؛ لم تصدق عينيها..

تسمرت مكانها؛ وعادت تُطيل الفستان بيدها.. مُحاولة الشرح:

- « أنا.. أنا.. »

(طارق) بتأثر شديد:

- « لا عليك.. تعالى معي.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

19 - الختام..

طبعا لم يعد مهما الآن معرفة من يضع الهدايا فى الدرج، لأننا صرنا أمام مشكلة أكبر. إنها (شيماء) نفسها.

وقبل أن نخوض فى التبرير هناك سؤال:

- « هل الاهتمام يُولد الحب؟.. »

الإجابة.. نعم قد يفعل؛ وإذا لم يحدث، فلن يصيبنا الكثير من الضرر.

بداية المرض.. تبدأ دائما بشخصية تلوم الأخرى بشدة.. تمهيدا للسيطرة عليها.. و (شيماء) كانت مريضة بمشاعرها.. تبحث عن الاهتمام؛ والحد الأدنى من إنسانيتها.

البعض يستطيع الاستغناء عن ذلك.. ويتوحد مع مادية المجتمع، ليعيش بقواعده القاسية.. لكن (شيماء) لم تكن من تلك الشريحة التي استطاعت.

كانت الشخصيات الأخرى بداخلها تضع لها الهدايا؛ دون علمها، كي تتلذذ (شيماء) بتلك النظرات.. وتشعر أنها حية.

مجرد نور تضعه على رأسها علَّ أحدًا يراها؟!.. تماما مثلما تفعل بعض الفتيات متوسطي الجمال؛ عندما تُصر على مصاحبة، بل وطاعة من تفوقها جمالا!..

فعندما قد تنظر العين للجمال الذي يرافقها.. قد تراها..

الشخصيات التي ازدحمت بداخلها؛ فعلت هذا دون أزمة ضمير، فهي لن تؤذى أحدًا.. فقط نفسها..

وعندما أغلقت الدرج، تعرضت لضغوط نفسية عنيفة. صارت لا تستطيع الاستغناء عن ذلك الإحساس..

تعمق بداخلها المرض؛ فهو صعود دون عودة؛ إلى أن وصلت لحد أن كل شخصية، لم تعد ترى الأخرى.

حاولت (شيماء) المقاومة؛ ودافعت عن شخصيتها التي نعرفها، كي لا تعطى المجال لأخرى فى الظهور.. لكنها كانت تضعف مع الوقت.

خاصة بعدما حرمت نفسها منذ الصغر من كل شيء، كنوع من العقاب، عمَّا فعلته؛ أو كانت السبب فيه.. بموت أختها.

لكن تلك المشاعر كان لا بد أن تخرج.. وسط تلك البيئة الخصبة من الضعف الداخلي لـ (شيماء)؛ والاستعداد للمرض.

فالأخت المنافسة (سالي) لم تكن هى الشخصية الوحيدة فى حياتها؛ التي تحمل فى صدرها شيئًا ما ضدها، (كيفما ظَنت)..

لأن التنمر أحاط بـ (شيماء) من كل اتجاه؛ إنها تعيش فى بيئة عدائية.. وسط شبكة شخصيات وعلاقات؛ كل منهم يحاول استغلالها بطريقة ما.

نما داخلها ذلك الشعور بالاضطهاد.. والذي على أساسه بدأت ترى؛ أن الآخرين انحصر دورهم فى تخريب أي شيء يخصها، سواء كـان هـذا متعمدًا (مباشر).. أو (غير مباشر)..

فلكل شخصية كانت توجد فى حياة (شيماء)، أجندة خاصة وخلفية ثقافية مختلفة، تسعى لاستغلالها.. أو تعكير مزاجها، من أول بائعة الخضار؛ التي كانت كلما تراها تسألها هل تزوجتِ أم لا!.. إلى الأصدقاء والجيران..

كل هؤلاء كانوا يشكلون عائقًا أمام استمتاع (شيماء) بحياتها، عائقًا لم تستطع تجاوزه يوما؛ كي تحقق الأمان والسلام الداخلي الذي تحلم به.

كانت أضعف من الحياة.. فوصلت للمرض النفسي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتهى (شلبي) من شرح ذلك على مسامع الجميع؛ قبل أن يقول بإرهاق:

- « إنها نموذج أقل حدة من حالة (سقراط) التي نعرفها جميعا.. »

نهض (طارق) يتطلع لـ (شيماء)؛ التي جلست بنفس الغرفة، ترتدى تلك المنامة البيضاء فى وداعة.. قائلا:

- « هل أستطيع أن أدخل لها.. »

(صفوت):

- « طبعا.. لكن كُن على حذر.. »

دلف (طارق) للغرفة بخطوات بطيئة.. فنظرت له (شيماء) بتوتر، وهي تُعدل تلك النظارة الطبية فوق أنفها..

اقترب يقول بحذر:

- « هل أستطيع أن أعرف اسمك؟.. »

مسحت فوق شعرها بإحراج.. واحمر وجهها متمتمة:

- « (شروق).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهدف من ذلك الكتاب؛ هو ألَّا يحمل أحدنا القسوة للآخر؛ لأن فلسفة هذا الكون مبنية على النقصان، كي يظل كل شيء فى حالة حركة. فأنت لو اكتملت سوف تتوقف عن السعي.. والسكون يعنى الموت.

لذا أثناء رحلتك؛ لا تتعمد إطفاء أحد من الداخل؛ مهما كُنت تحمل من مبررات انتقامية.

يكفى أن تعود خطوة واحدة فقط للخلف فى علاقتك؛ بمن تسببوا فى إيذائك يوما؛ وليس كل الخطوات.. فالأيام ستتكفل بتهذيبهم.

وتذكر أن ما تعطيه اليوم ستحصده غدا.. وما تُصدره من قسوة، غير محسوبة، قد يكون سببا فى عذاب لا ينتهي لغيرك..

فلا تستصغر كلمة أو فعل.. وتقبل نواقص البشر كما هى. لأن كل نفس لها قدرتها على الاحتمال.. فلا تكن سببا فى عذابها..

فكم من (شيماء) فى حياتنا نقتلها كل يوم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

إهداءٌ خاص

مقدمة لا بُدَّ منها

ملحوظة مهمة:

المقال الأول
معضلة المحاكاة
The Simulation Argument
المقال الثاني
تأثير مانديلّا
The Mandela Effect
المقال الثالث
دليلك للأبعاد العُلوِيَّة
A Guide to Higher Dimensions
المقال الرابع
هل الظلام أسرع أم الضوء؟!
Which is faster, Darkness or light!?
المقال الخامس
قنبلة الثقب الأسود
Black hole bomb
المقال السادس
مقياس كارداشيف
The Kardashev Scale
المقال السابع
الكوكب X
Planet X
المقال الثامن
مُعضِلة الجَدِّ
The Grandfather Paradox
المقال التاسع
نموذج وولفرام للفيزياء
The Wolfram physics model

المقال العاشر
فيروسات تحت الجليد
Viruses under the ice
المقال الحادي عشر
حكايات عن الموت والعالم الآخر
Tales about death and the afterlife.
خاتمة
مصادر

Notes

[←1]

(1) بِشكار: اسم مهنة يتم إطلاقه على مَنْ يساعد فى سلخ وتجهيز الذبائح فى السلخانة .

[←2]

(2) الذهان: مرض نفسى يعنى باختصار الانفصال بشكل جزئي أو كلى عن الواقع. فيه يعجز المصاب عن التفكير بشكل منطقي متوازن، يصحبه بعض الهلاوس والاضطرابات، مما يجعل المريض مؤذيًا فى بعض الحالات لنفسه ولغيره.

[←3]
(3) هذه الرواية تسبق أحداث رواية (الحديقة السوداء) العدد رقم (2) من السلسلة، بعام تقريبًا .

[←4]

(4) الشخصية السادية هى التي تتلذذ وتجد متعة فى عذاب الآخرين .

[←5]

(5) (سوان) - (swan): اسم إنجليزي الأصل؛ وهو تعريب لاسم أحد الطيور الشهيرة (البجعة) . لكنه اسم غير منتشر يمكن إطلاقه على المواليد الإناث. وصاحبة اسم (سوان) هى فتاة تحب الحرية والاستمتاع بالحياة؛ كما أنها بسيطة فى شخصيتها ومرحة.

[←6]

(6) مسرحية شهيرة للمؤلف الألماني (فريدريش شيللر)؛والذي عاش فى الفترة من (1757 - 1805)، كتب فى الشعر والفلسفة والتاريخ، عالج كل أنواع التأليف الأدبي وأبدع فيها، ومن مؤلفاته: (أفكار واضحة لعقلية فذة)، كان لها أعمق الأثر فى فكر مواطنيه ومشاعرهم .

[←7]
(7)) مزيد من التفاصيل فى العدد رقم (2) للسلسلة (الحديقة السوداء) .

[←8]

(8) الشخصية المعادية للمجتمع (Antisocial personality): يعتمد تشخيصه على حزمة اضطرابات سلوكية. أطلق عليها العلماء العديـد من الأسماء، مثل: (الاعتلال النفسي) (Psychopathy) أو (الاعتــلال الاجتماعي) (Sociopathy) فيها يعتاد المصاب على تنفيذ سلوك أو مهام متكررة دون ملل، تؤدى فى النهاية إلى وقوعه تحت سطوة القانون، من خلال ممارسة سلوكيات تُلحق الضرر بالآخرين والمجتمع، وعندما يتم حصاره، لا يستسلم ويلجأ للخداع والمراوغة، من أجل الإشباع الفوري لاحتياجاته وليدة اللحظة، فلا شيء يردعه سوى القبض عليه، وهذا ما يحدث - غالبًا - فى النهاية، مهما كان حذرًا، لأنه كثيرًا ما يتصرف بصورة اندفاعية دون تخطيط مسبق، دون اعتبار لأى عواقب. المصدر: مواقع رسمية على الإنترنت.

[←9]

(9) مزيد من التفاصيل فى العدد (2) للسلسلة (الحديقة السوداء) .

[←10]

(10) (البجعة السوداء) (Black swan): هو فيلم إثارة أنتج عام 2010 من إخراج (دارين أرنوفسكى) (Darren Aronofsky) وبطولة (ناتالي بورتمان) (Natalie Portman)، الفيلم تم ترشيحه لأربع جوائز أوسكار؛ وفازت (ناتالي بورتمان) بجائزة الأوسكار أفضل ممثلة، وتدور أحداث الفيلم حول (نينا) راقصة الباليه الشابّة؛ والتي تعمل فى إحدى الفرق بـ (نيويورك)، تحـلم بأداء دور البجعة السوداء فى بحيرة البجع الشهيرة، وتأتيها الفرصة ليختارها مدير الفرقـة (فينسنت) لأداء ذلك الدور، بعد استبعاد راقصته الأساسية، لكن تبقى مشكلة أن (نينا) بطبعها باليرينا حساسة ورقيقة، لكى تتمكن من أداء دور عمرها؛ فرصتها الكبرى بالطريقة الصحيحة؛ يتطلب هذا منها أداء دورين متناقضين، الأول هو (البجعة البيضاء) التي تشبه شخصيتها الحقيقية؛ والتي يخرج أداء دورها منها طبيعيًّا، والثاني والذي تواجه صعوبة فى إخراجه هو دور (البجعة السوداء) الشريرة العدوانية، فتحاول بجهد الالتقاء بالجانب المظلم من ذاتها، وتجد فى الإحساس العدواني الذي فرضه وجود منافستها وبديلتها، دافعًا وإلهاما لها كي تستمر لتحقق أحلامها. المصدر: IMDB.. ويكيبيديا.

(11) النشوة أو الاستمتاع أو الابتهاج. [←11]